



القِطْعُ العَالَمِيَّةُ



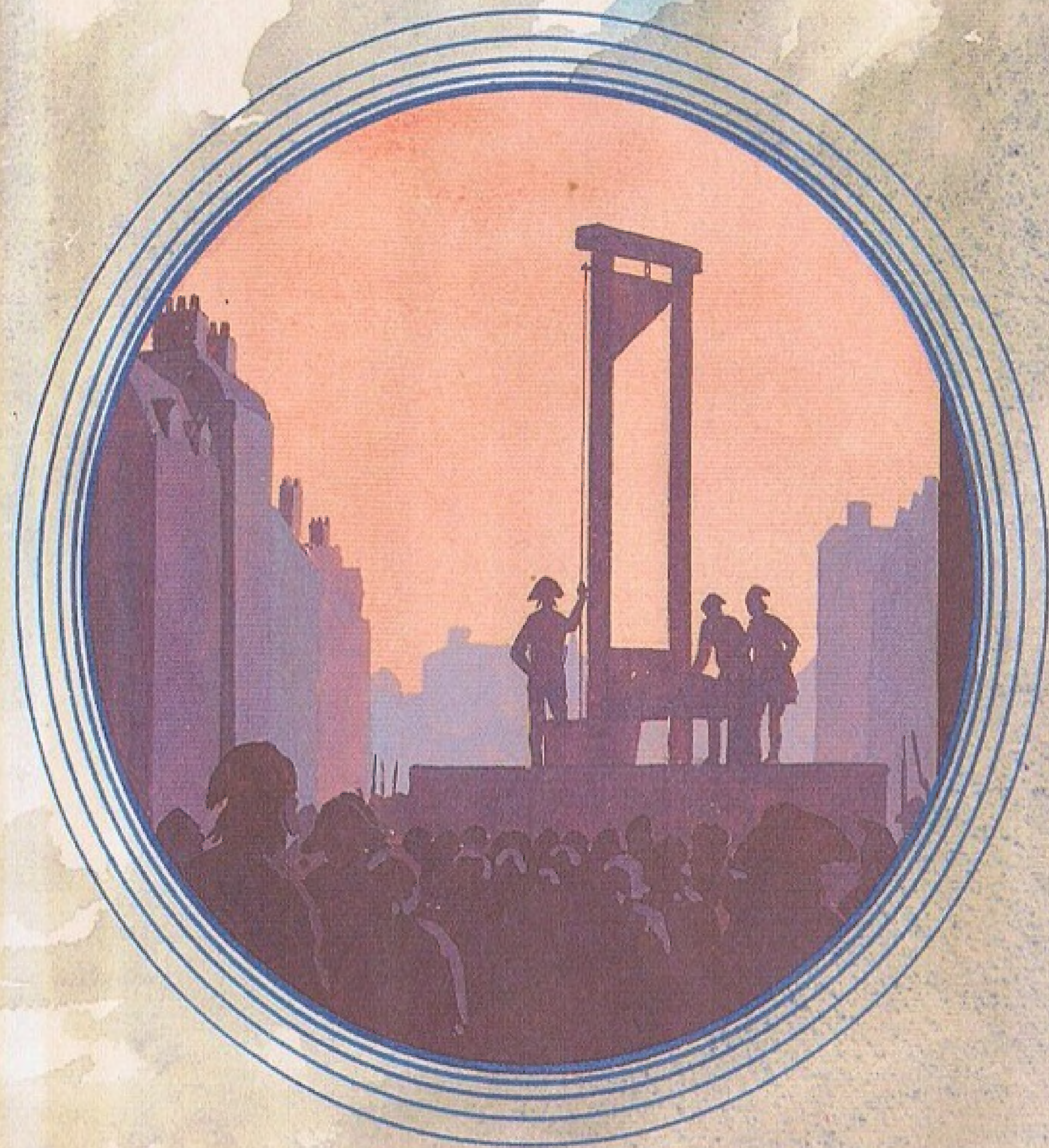
# قِصَّة مَدِينَتَيْنِ

رُفَيْن



Arabcomics.net

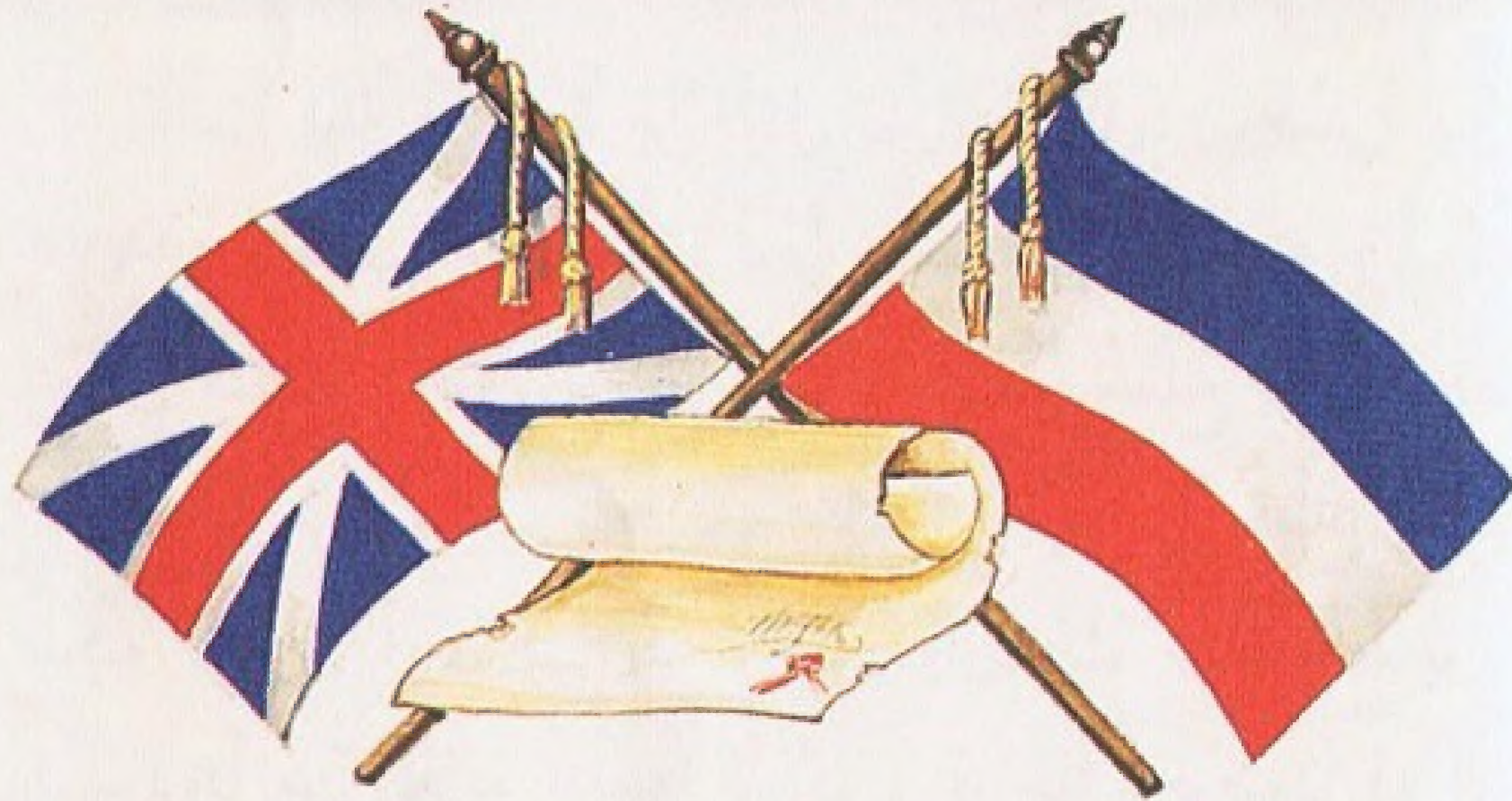








# قِصَّةُ مَدِينَتَيْنِ



أَعَدَّ النَّصَّ الْعَرَبِيَّ: ن. أ. الزِّيَّات  
عَنْ قِصَّة: تشارلز ديكنز  
رُسُوم: فرانك همفريس

مَكْتَبَةُ لُبْنَانَ

وَاحِدٌ مِنْ أَشْهُرِ الْكُتَابِ الْإِنْكَلِيزِ. اكْتَسَبَ شُهْرَةً عَالَمِيَّةً ذَائِعَةً  
الصَّبِيحَ لِرِوَايَاتِهِ الْعَدِيدَةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي تَحَدَّثُ فِيهَا عَنِ الطَّبَقَاتِ الْفَقِيرَةِ  
التَّعِيسَةِ، وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي يُصِيبُ فِئَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ الشَّعْبِ. فِي  
أُسْلُوبِ دِيكَنْزِ يَمْتَرِجُ النِّقْدُ السَّاخِرُ اللَّاذِعُ بِالْمَشَاهِدِ الْمُؤْلِمَةِ الَّتِي  
تُكْشِفُ عَنْ عَذَابِ الْإِنْسَانِ فِي مُجْتَمَعٍ غَيْرِ عَادِلٍ.

مِنْ أَشْهُرِ رِوَايَاتِهِ: «أُولْفَرُ تَوْسْت» (١٨٣٧ - ١٨٣٨)، «نِيكُولَسْ  
نِيكَلِي» (١٨٣٨ - ١٩٣٩)، «دِيْقِدْ كُوْپَرْفِيلْد» (١٨٤٩ - ١٨٥٠)،  
وَقِصَّتُنَا الَّتِي نُقَدِّمُهَا الْيَوْمَ لِلْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ: «قِصَّةُ مَدِينَتَيْنِ» الَّتِي نُشِرَتْ  
فِي الْعَامِ ١٨٥٩.

تَصِفُ «قِصَّةُ مَدِينَتَيْنِ» الصَّرَاعَ الَّذِي يَنْشَبُ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ بَيْنَ  
الْحُبِّ وَالْوَاجِبِ، وَتُصَوِّرُ انْتِقَالَ السُّلْطَةِ مِنْ فَرِيقٍ إِلَى آخَرَ وَمَا يَسْتَتِيعُ  
ذَلِكَ مِنْ تَحَوُّلٍ فِي الْأَفْكَارِ وَالْآمِ لِلْبَشَرِ. وَتَجْرِي أَحْدَاثُ الْقِصَّةِ فِي  
إِطَارٍ تَارِيخِيٍّ يَتَنَاوَلُ الْفَتْرَةَ الَّتِي قَامَتْ فِيهَا الثَّوْرَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ، وَانْعِكَاسَ  
هَذَا الْإِطَارِ عَلَى حَيَاةِ أُسْرَةٍ وَالْأَحْدَاثِ الَّتِي تُوَاجِهُهَا فِي مَدِينَتَيْ لَنْدُنْ  
وَبَارِيْسَ. وَتُعْطِي الرُّسُومُ الْمُلَوَّنةُ صُورَةً رَائِعَةً صَادِقَةً عَنْ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ  
التَّارِيخِيَّةِ الْمُهِّمَةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ.

سِلْسِلَةُ «الْقِصَصِ الْعَالَمِيَّةِ»

٥ - قِصَّةُ مَدِينَتَيْنِ

٦ - الْعَالَمُ الْمَفْقُودُ

٧ - الْفُرْسَانُ الثَّلَاثَةُ

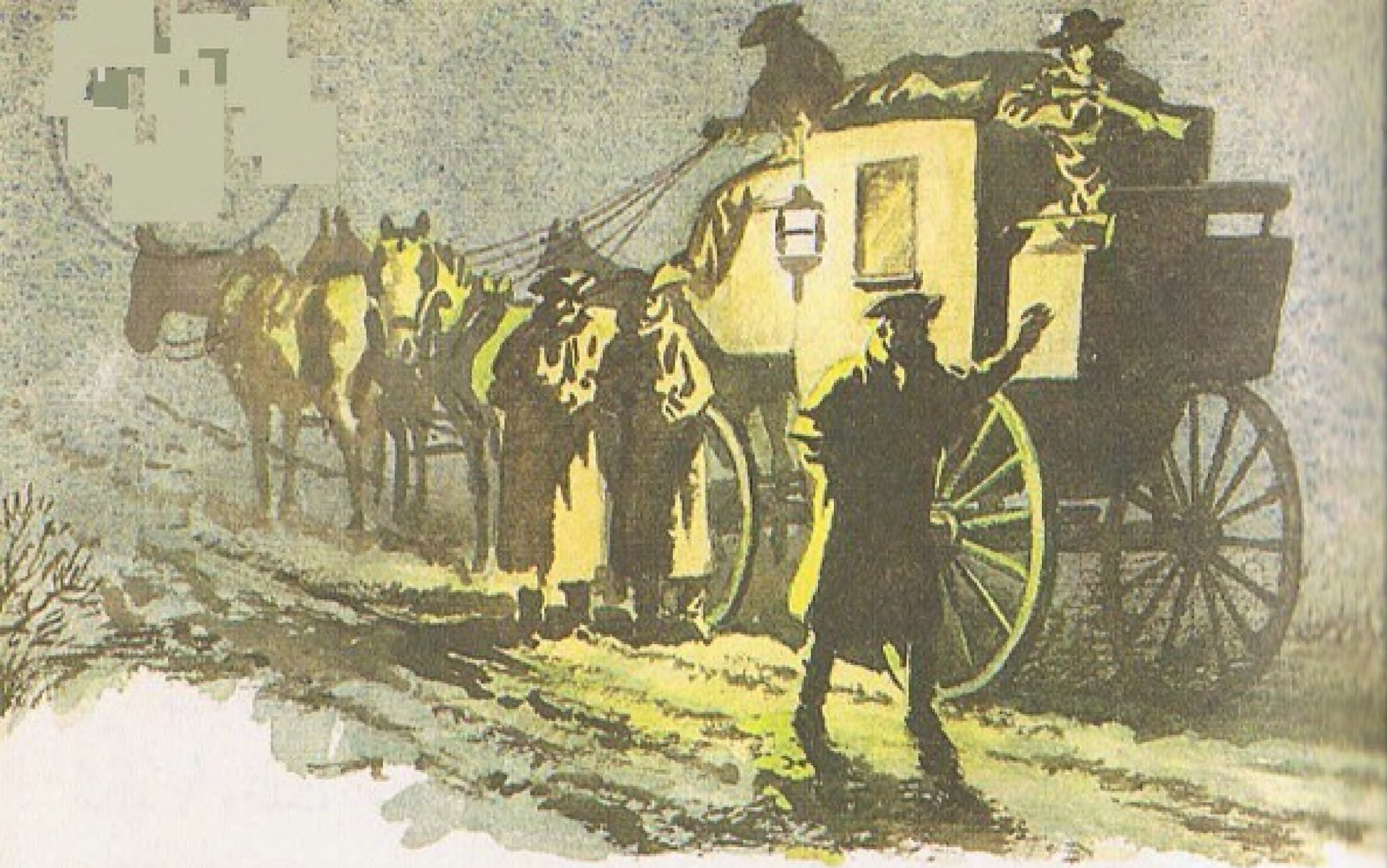
١ - جَزِيرَةُ الْكَتْرِ

٢ - أُسْرَةُ رُوْبِنْسُنِ السُّوَيْسِرِيَّةِ

٣ - الْحَدِيقَةُ السَّرِّيَّةُ

٤ - رِحْلَةُ إِيْلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ





تَقَدَّمَ أَحَدُ الْمُسَافِرِينَ وَقَالَ بِشْيٍّ مِنَ الْقَلَقِ : « مَا الْأَمْرُ يَا جَرِي ؟ » ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْحَارِسِ وَقَالَ : « لَا بَأْسَ ، أَنَا أَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ . »

أَنْزَلَ الْحَارِسُ بُنْدُقِيَّتَهُ ، وَأَسْرَعَ الْمُسَافِرُونَ يُخْرِجُونَ سَاعَاتِهِمْ وَنُقُودَهُمْ مِنْ أَحْذِيَّتِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا خَبَأُوهَا مَذْعُورِينَ حِينَ رَأَوْا الْفَارِسَ مُقْبِلًا عَلَيْهِمْ .

سَلَّمَ جَرِي السَّيِّدَ لُورِي وَرَقَةً تَقُولُ : « أَنْتَظِرِ الْآنِسَةَ فِي دَوْقِر . »

وَكَانَ جَوَابُ السَّيِّدِ لُورِي عَلَى الرِّسَالَةِ غَامِضًا ، قَالَ :

« جَوَابِي هُوَ : أُعِيدَ إِلَى الْحَيَاةِ . »

أَسْرَعَ جَرِي يَقُولُ بِصَوْتٍ أَجَشٍّ : « هَذَا جَوَابُ غَرِيبٍ ! »

وَقَدْ كَانَ فِعْلًا جَوَابًا غَرِيبًا ، كَمَا سَنَرَى .



كَانَتْ لَيْلَةٌ مُكْفَهَرَةٌ مِنْ لَيَالِي تَشْرِينَ الثَّانِي (نُوفَمْبَر) مِنْ عام ١٧٧٥ . وَكَانَتْ الْجِيَادُ الَّتِي تَجْرُ عَرَبَةَ الْبَرِيدِ تُجَاهِدُ فِي صُغُودِهَا إِحْدَى التَّلَالِ . وَفَوْقَ الْعَرَبَةِ جَلَسَ حَارِسٌ مُسَلَّحٌ بِبُنْدُقِيَّةٍ قَصِيرَةٍ . كَانَ الْحَارِسُ يُرَاقِبُ الطَّرِيقَ جَاهِدًا خَوْفًا مِنْ قُطَاعِ الطُّرُقِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَرَى أَبْعَدَ مِنْ مِثْرٍ وَاحِدٍ . وَازْدَادَتْ مَشَقَّةُ الطَّرِيقِ فَنَزَلَ الْمُسَافِرُونَ مِنَ الْعَرَبَةِ تَخْفِيفًا لِلْوِزْنِ ، وَرَاحُوا يُخَوِّضُونَ فِي الْوَحْلِ .

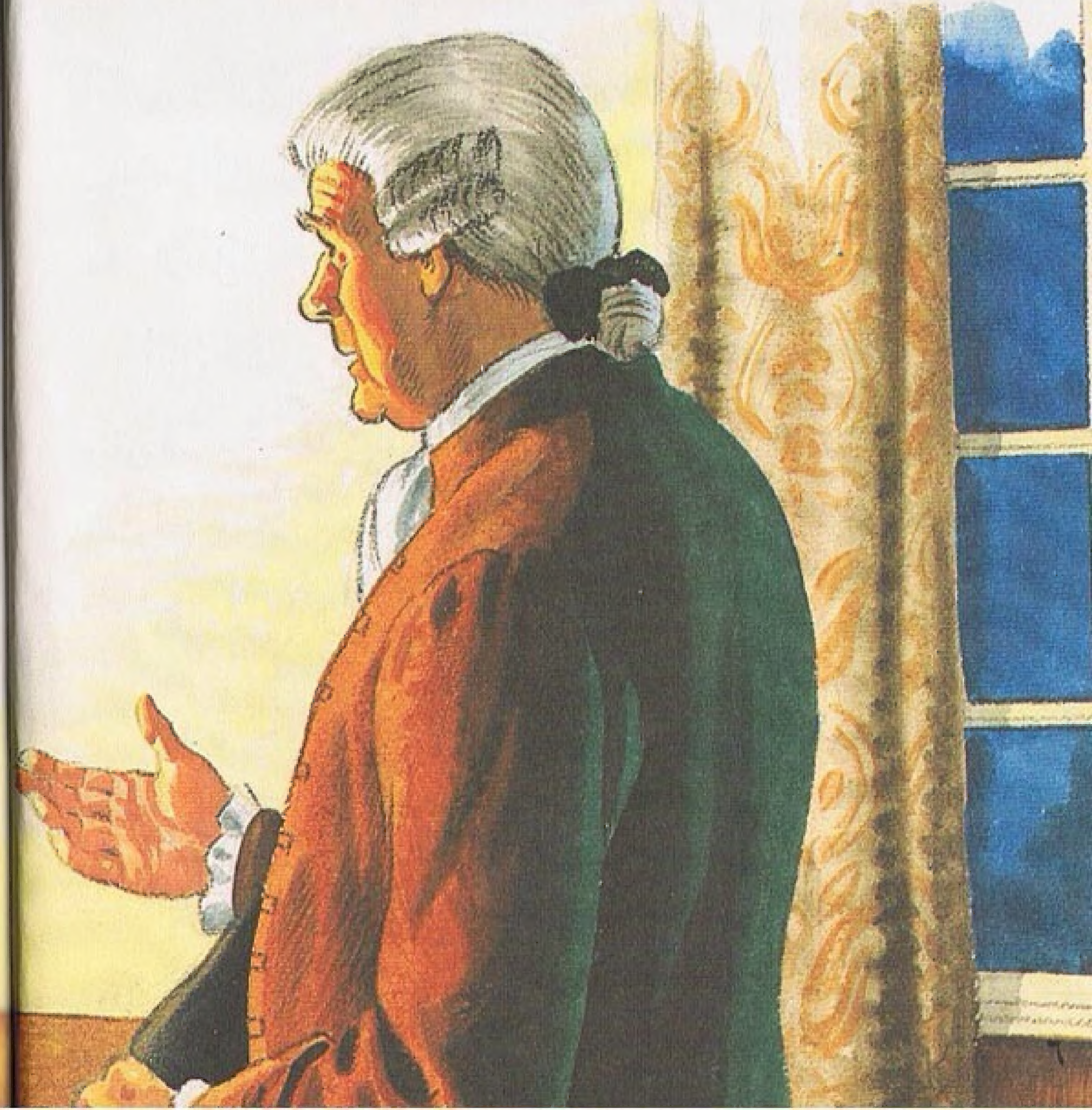
فَجَاءَ ، بَرَزَ مِنَ الضَّبَابِ فَارِسٌ جَاءَ يَعْدُو بِفَرَسِهِ . فَصَاحَ الْحَارِسُ : « قِفْ ! وَإِلَّا أَطَلَقْتُ النَّارَ ! »

أَجَابَ الْفَارِسُ : « أُرِيدُ مُسَافِرًا فِي عَرَبَتِكُمْ . أُرِيدُ السَّيِّدَ جَارِقِسَ لُورِي . »



في رَدَّهَةِ الْفُنْدُقِ الْكَثِيبَةِ فِي دَوْفَرٍ ، وَعَلَى ضَوْءِ شَمْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ ، التَّقَى السَّيِّدُ لُورِي صَبِيَّةً فَاتِنَةً فِي السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا ، ذَاتَ شَعْرٍ أَشْقَرَ وَعَيْنَيْنِ حَائِزَتَيْنِ . تِلْكَ هِيَ الْآنِسَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَقِيَهَا .

تِلْكَ الصَّبِيَّةُ الْفَاتِنَةُ كَانَتْ لُوسِي مَانِتْ ، ابْنَةُ صَدِيقِ فَرَنْسِيٍّ مِنْ أَصْدِقَائِهِ الْقُدَامَى . وَكَانَ قَدْ حَمَلَهَا مَعَهُ إِلَى إِنْكِلِتْرَةَ وَهِيَ بَعْدُ طِفْلَةٌ ، وَظَلَّتْ طَوَالَ الْوَقْتِ تَحْسَبُ نَفْسَهَا يَتِيمَةً .



كَانَ عَلَى السَّيِّدِ لُورِي أَنْ يُخْبِرَهَا الْآنَ أَنَّ أَبَاهَا لَا يَزَالُ حَيًّا . فَقَدْ زُجَّ بِهِ فِي سِجْنِ الْبَاسْتِيلِ الْمُرِيعِ فِي بَارِيسِ مُدَّةَ ثَنَائِي عَشْرَةِ سَنَةٍ ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ مَكَانَهُ . وَقَدْ اكْتُشِفَ مَكَانُهُ أَخِيرًا فَأُطْلِقَ سَرَاحُهُ .

قَالَ : « اكْتُشِفَ مَكَانُهُ . لَكِنَّهُ تَغَيَّرَ كَثِيرًا . إِنَّهُ حُطَامُ رَجُلٍ . سَنَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي بَارِيسِ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُعِيدَهُ إِلَى الْحَيَاةِ . » رَاحَتْ لُوسِي تَنْظُرُ بِحَيْرَةٍ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْوَقُورِ ، فِي بَرِّتِهِ الْبُنْيَةِ وَشَعْرِهِ الْمُسْتَعَارِ الْمُرْتَبِّ ، وَتُفَكِّرُ فِي الْخَبَرِ الصَّاعِقِ الَّذِي أَتَاهَا بِهِ ، وَالَّذِي جَاءَ صَدْمَةً تَرَكَتْهَا شَاحِبَةً تَرْتَعِشُ . أَخِيرًا قَالَتْ بِيَأْسٍ : « لَنْ أَرَاهُ هُوَ ، بَلْ سَأَرَى شَبَحَهُ ! »





كَانَ عَلَى السَّيِّدِ لُورِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَارِيسَ فِي أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ  
بِالْمَصْرِفِ الَّذِي يَمْلِكُهُ. وَقَدْ تَمَكَّنَ هُوَ وَلُوسِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَى  
أَحَدِ الْأَحْيَاءِ الْبَائِسَةِ الْفَقِيرَةِ، حَيْثُ تَنْتَشِرُ الرِّوَائِحُ الْكَرِيهَةُ،  
وَيَجُولُ أَنْاسٌ ذَوُو ثِيَابٍ مُمَزَّقَةٍ وَبُطُونٍ جَائِعَةٍ يَتَرَصَّدُونَ طَعَامًا  
يَأْكُلُونَهُ. حَتَّى الْبَحَوَانِيَّةُ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ خَالِيَةً مِنَ الطَّعَامِ.

وَفِيمَا كَانَا يَعْبُرَانِ شَارِعًا مَرْصُوفًا بِالْحِجَارَةِ، وَقَعَ بِرُمِيلُ  
شَرَابٍ مِنْ عَرَبَةٍ فَانْكَسَرَ. وَانْقَضَ النَّاسُ حَالًا عَلَى الشَّرَابِ  
الْمُنْسَكَبِ عَلَى الْأَرْضِ الْمُوحِلَةِ، يَرْفَعُونَ مِنْهُ بِمَا تيسَّرَ لَهُمْ مِنْ  
أَنِيَّةٍ أَوْ حَتَّى بِأَيْدِيهِمْ. وَكَانَ أَنْ لَطَخَ الشَّرَابُ أَفْوَاهَهُمْ بِاللُّونِ  
الْأَحْمَرِ فَبَدَأَ مَنَظَرُهُمْ مُرْعِبًا. تَقَدَّمَ رَجُلٌ طَوِيلٌ مِنْهُمْ يَعْتمِرُ طَاقِيَّةَ  
نَوْمٍ، وَكَتَبَ عَلَى جِدَارٍ بِإَصْبَعِهِ الْمُلَوَّثِ بِالشَّرَابِ كَلِمَةً: الدَّمُ!  
كَانَتْ تِلْكَ مَنَظِقَةً غَلِيَانٍ تُنذِرُ بِانْدِلَاعِ أَحْدَاثٍ خَطِيرَةٍ.

وَصَلَ السَّيِّدُ لُورِي وَلُوسِي إِلَى حَانُوتٍ يَمْلِكُهَا رَجُلٌ مَتِينُ الْبَنِيَّةِ  
قَوِيُّ الْمَلَامِحِ اسْمُهُ السَّيِّدُ دُوفَارْج. وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجُ  
جَالِسَةً فِي مَدْخَلِ الْحَانُوتِ تَغْزِلُ صُوفًا، دُونَ أَنْ يَمْنَعَهَا شَيْءٌ مِنْ  
مُرَاقِبَةِ كُلِّ مَا يَحْدُثُ حَوْلَهَا بِعَيْنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ ثَاقِبَتَيْنِ.

قَالَ أَحَدُ زَبَائِنِ الْحَانُوتِ: «لَا يَذُوقُ هَؤُلَاءِ التَّاعِسُونَ،  
عَادَةً، شَرَابًا وَلَا غَيْرَهُ يَا جَاك، إِلَّا الْخُبْزَ الْأَسْوَدَ وَالْمَوْتَ.»

فَرَدَّ آخَرُ: «الْحَقُّ مَعَكَ، يَا جَاك.»





«لا».

«مَنْ أَنْتِ؟»

ثُمَّ تَنَاولَ خِرْقَةً وَسِخَةً مُعَلَّقَةً حَوْلَ عُنُقِهِ بِخَيْطٍ ، وَفَتَحَهَا فَإِذَا  
بِهَا بَضْعُ شَعَرَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ . إِغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدَّمُوعِ ، فَقَدْ كَانَتْ  
هَذِهِ الشَّعَرَاتُ أَثَرًا مِنْ زَوْجَتِهِ . وَتَذَكَّرَ السَّيِّدُ لُورِي أَنَّ بَيْنَ الْأُمِّ  
وَلُوسِي شَبَهَا قَوِيًّا .



اقْتَرَبَتْ لُوسِي مِنَ الشَّيْخِ وَمَدَّتْ يَدَهَا إِلَيْهِ بِرَفْقٍ وَقَالَتْ :  
«جِئْتُ لِأَخُذَكَ إِلَى الْبَيْتِ ، يَا أَبِي ، وَلِأَعْتِنِي بِكَ .»

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قَامَ السَّيِّدُ دُوفَارْجُ وَرِفَاقُهُ بِتَهْرِيْبِ الشَّيْخِ وَابْنَتِهِ  
وَالسَّيِّدِ لُورِي إِلَى خَارِجِ بَارِيسَ مُتَجَاوِزِينَ نِقَاطَ الْحِرَاسَةِ . وَرَاحَ  
السَّيِّدُ لُورِي ، أَثْنَاءَ انْطِلَاقِ الْعَرَبَةِ فِي الظَّلَامِ ، يَتَسَاءَلُ مَا إِذَا  
كَانَ الدُّكْتُورُ مَانِتُ سَيَسْتَعِيدُ ذَاكِرَتَهُ وَالْحَيَاةَ السَّعِيدَةَ .



حِينَ عَرَفَ السَّيِّدُ دُوفَارْجُ أَنَّ الصَّبِيَّةَ ابْنَةُ سَيِّدِهِ الْقَدِيمِ  
أَخَذَهَا إِلَى مَخْبَأٍ سَرِيِّ يَقَعُ فَوْقَ الْحَانُوتِ .

هُنَاكَ ، فِي عُلْيَا صَغِيرَةٍ خَافِتَةٍ الضَّوْءِ ، رَأَتْ لُوسِي شَيْخًا  
أَبْيَضَ الشَّعْرَ بِأَلْيِ الثِّيَابِ مُنْهَمِكًا فِي تَصْلِيحِ بَعْضِ الْأَحْذِيَّةِ . لَمْ  
تَكُنْ عَيْنَا الشَّيْخِ الْكَلِيلَتَانِ تَتَحَمَّلَانِ ضَوْءًا أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ الضَّوْءِ .

سَأَلَهُ السَّيِّدُ دُوفَارْجُ عَنْ اسْمِهِ فَقَالَ بِصَوْتٍ وَاهِنٍ  
مُضْطَرِبٍ ، وَكَأَنَّمَا لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ مُنْذُ زَمَنٍ : «مِئَةُ وَخَمْسَةَ ، الْبُرْجُ  
الشَّمَالِيُّ .» لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ رَقْمَ زِنَانَتِهِ .

ثُمَّ بَدَأَ الشَّيْخُ ، بَعْدَ بَعْضِ الْوَقْتِ ، يَنْظُرُ فِي وَجْهِ لُوسِي  
وَشَعْرَهَا الذَّهَبِيِّ ، وَكَأَنَّمَا ذَلِكَ يُذَكِّرُهُ بِإِنْسَانٍ يَعْرِفُهُ .

«أَنْتِ ابْنَةُ السَّجَّانِ؟»



## بَعْدَ خَمْسِ سَنَاتٍ

في العام ١٧٨٠ كَانَتْ قَدْ مَرَّتْ خَمْسُ سَنَاتٍ عَلَى تِلْكَ الْحَادِثَةِ. وَكَانَتْ لُوسِي وَوَالِدُهَا يَعِيشَانِ فِي أَطْرَافِ مَدِينَةِ لَنْدَنَ فِي مَكَانٍ هَادِئٍ يُشْرِفُ عَلَى الرَّيفِ السَّاحِرِ النَّاصِرِ.

وَكَانَ وَالِدُ لُوسِي قَدْ عَادَ إِلَى مُمَارَسَةِ مِهْنَةِ الطَّبِّ، وَحَظِيَ بِاحْتِرَامٍ عَمِيقٍ مِنَ النَّاسِ. لَكِنَّهُ كَانَ لَا يَزَالُ يَحْتَفِظُ بَعْدَ الْإِسْكَافِيِّ فِي غُرْفَةٍ عُلوِيَّةٍ. وَقَدْ يَحْدُثُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ هَوَاجِسُ أَيَّامِ السَّجْنِ، فَيَنْفَرِدُ فِي عُلَّتِيهِ، وَيَظَلُّ طَوَالَ اللَّيْلِ مِنْهُمْ كَمَا فِي تَصْلِيحِ الْأَحْذِيَّةِ. وَكَانَ الْقَلْقُ يَسْتَبِدُّ بِلُوسِي حِينَ تَرَى أَبَاهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ.

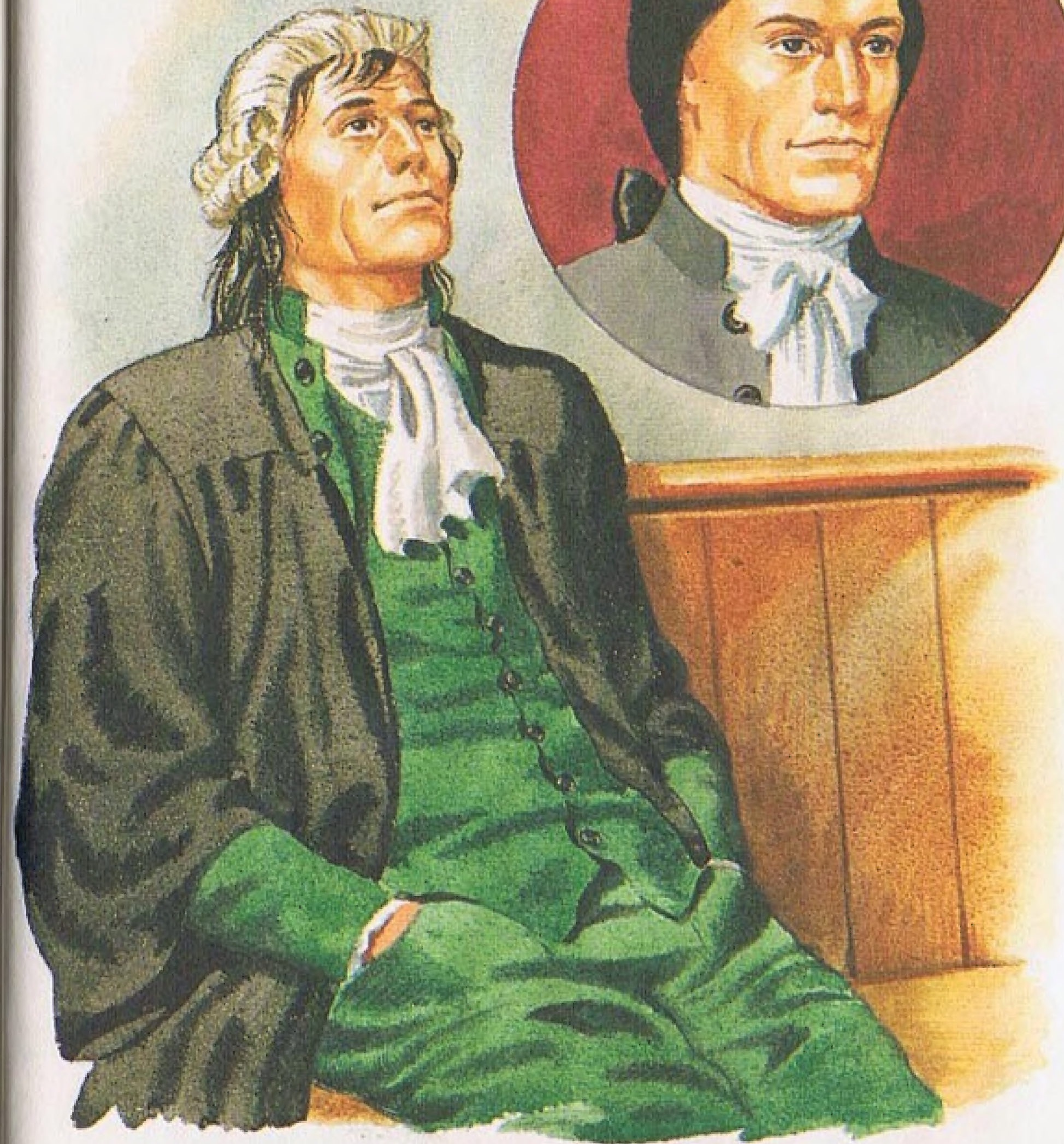
كَانَتْ مُدَبِّرَةُ الْمَنْزِلِ، الْإِنْسَةُ پَرُوسَ، امْرَأَةً صَارِمَةً، ذَاتَ شَعْرٍ أَحْمَرَ وَوَجْهٍ أَحْمَرَ. وَقَدْ أَخَذَتْ عَلَى عَاتِقِهَا أَنْ تَحْرُسَ الدُّكْتُورَ مَانِتَ وَابْنَتَهُ الْفَرَّاشَةَ - كَمَا كَانَتْ تُسَمِّي لُوسِي - مِنْ سَائِرِ الْمُتَطَفِّلِينَ، وَبِخَاصَّةٍ أُولَئِكَ الشَّبَّانَ الَّذِينَ يَحُومُونَ حَوْلَ الصَّبِيِّ، مُنْجَذِبِينَ بِجَمَالِهَا وَرِقَّةِ مَعْشَرِهَا.



كَانَ جَرِي كُرَانْشَرُ، خَادِمُ السَّيِّدِ لُورِي، يَقُومُ بِمُهْمَةٍ جَدِيدَةٍ لِسَيِّدِهِ. كَانَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى أَوْلَدِ بِيْلِي، حَيْثُ يَقُومُ السَّيِّدُ لُورِي بِإِدَاءِ الشَّهَادَةِ فِي إِحْدَى الْمُحَاكَمَاتِ.







كَانَتْ أُولَدُ بيلي المَحْكَمَةِ الَّتِي يُقَدَّمُ إِلَيْهَا الْمُتَّهَمُونَ بِالْخِيَانَةِ  
أَوْ الْقَتْلِ ، لَإِذَا كَانَتْ عَادَةً تَغْصُ بِالْحُضُورِ .

سَأَلَ جَرِي الرَّجُلَ الَّذِي يَجْلِسُ إِلَى جِوَارِهِ بِصَوْتٍ أَجَشٍّ  
قَائِلًا : « مَا الْخَبْرُ ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلُ : « لَمْ تَبْدَأِ الْجَلْسَةَ بَعْدُ . »

قَالَ جَرِي : « مَنْ يُحَاكِمُونَ ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلُ : « يُحَاكِمُونَ جاسوسًا فرنسيًا . »

قَالَ جَرِي : « لَا بَدَّ أَنَّهُمْ سَيَقْطَعُونَهُ ، إِذَا . »

رَدَّ الرَّجُلُ بِغَيْظَةٍ : « سَوْفَ يُجَرَّجِرُونَهُ ، ثُمَّ يَقْطَعُونَ رَأْسَهُ ثُمَّ  
يَقْطَعُونَهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَرْبَاعٍ . هَكَذَا سَيَكُونُ الْحُكْمُ . »

قَالَ جَرِي : « هَذَا إِذَا وُجِدَ مُذْنِبًا . »

أَجَابَ الرَّجُلُ : « لَا تَقْلَقْ ، سَيَجِدُونَهُ مُذْنِبًا ! »

أَمَّا الْمُتَّهَمُ خَلْفَ الْقُضْبَانِ ، وَاسْمُهُ شَارْلُ دَارْنِي ، فَكَانَ  
فرنسيًا طَوِيلَ الْقَامَةِ ، يَقِفُ وَقْفَةً جَلَالٍ وَوَقَارٍ . كَانَ ذَا شَعْرٍ  
أَسْوَدَ طَوِيلٍ ، مَرْبُوطٍ خَلْفَ ظَهْرِهِ بِشَرِيطٍ ، وَذَا ثِيَابٍ رَمَادِيَّةٍ  
بَسِيطَةٍ . وَكَانَ وَسِيمًا ، أَسْمَرَ ، دَاكِنَ الْعَيْنَيْنِ . وَقَدْ اتُّهِمَ بِأَنَّهُ  
يَتَجَسَّسُ لِصَالِحِ الْمَلِكِ الْفَرَنْسِيِّ .

وَكَانَ يَجْلِسُ فِي مَقْعَدِ الْمُحَامِلِينَ رَجُلٌ ذُو شَعْرٍ مُسْتَعَارٍ مُهْمَلٍ  
وَرِدَاءٍ مَشْقُوقٍ ، وَقَدْ اسْتَرَخَى فِي جَلْسَتِهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ فِي جَيْبَيْهِ ،  
وَرَأَحَ يُحَدِّقُ فِي ذُبَابَةٍ عَالِقَةٍ فِي السَّقْفِ . كَانَ ذَا نَظْرَةٍ لَامُبَالِيَّةٍ  
وَكَأَنَّهُ لَا يَحْفَلُ بِأَحَدٍ حَتَّى وَلَا بِنَفْسِهِ . لَكِنَّ اللَّافِتَ لِلنَّظَرِ أَنَّ  
ذَلِكَ الرَّجُلَ ، وَاسْمُهُ سِدْنِي كَارْتْنِ ، كَانَ ذَا شَبْهِ غَرِيبٍ  
بِالْمُتَّهَمِ .

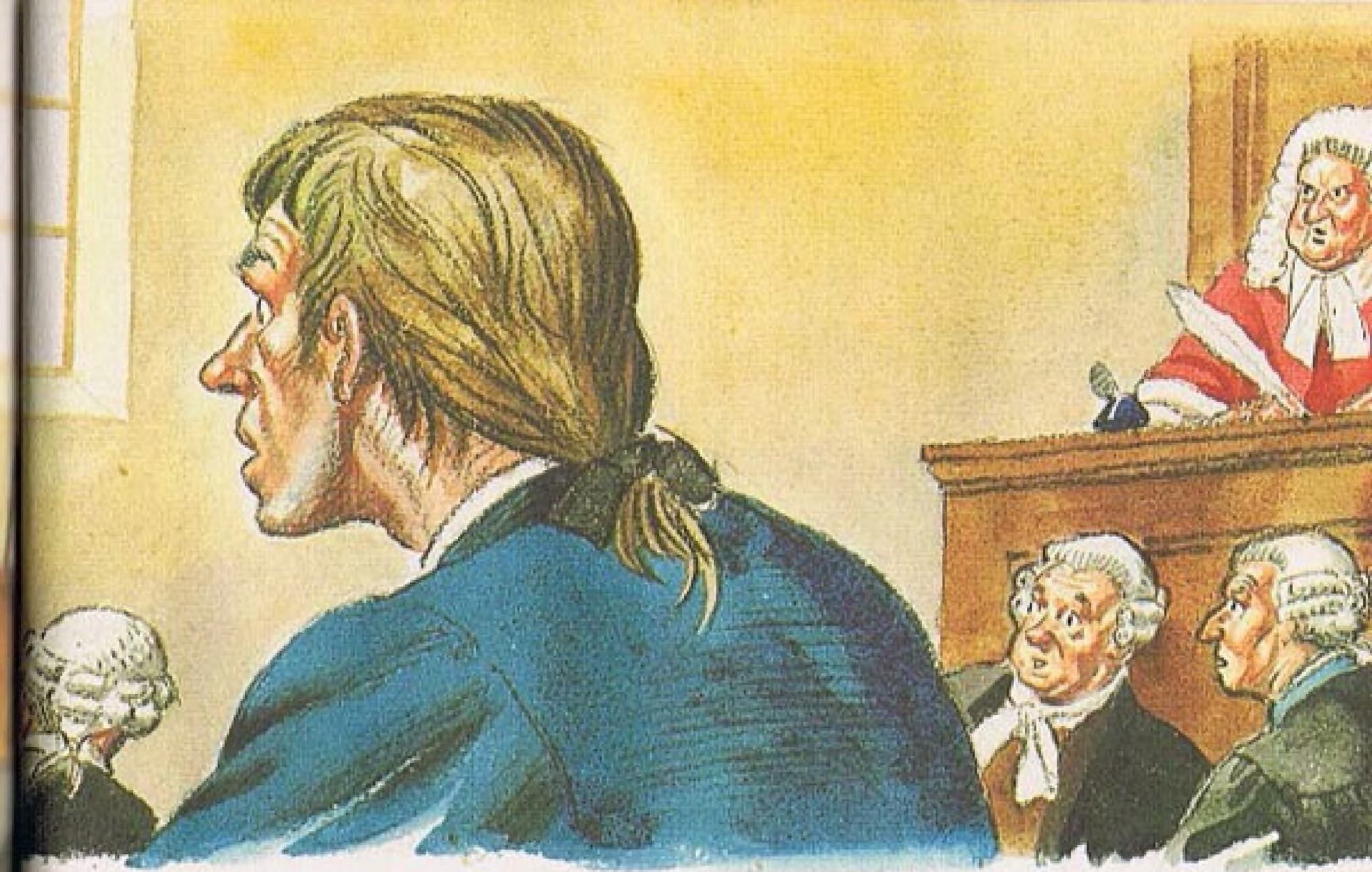




«تَقُولُ إِنَّكَ وَاثِقٌ مِنْ أَنَّ الَّذِي شَاهَدْتَهُ هُوَ الْمُتَّهَمُ؟»  
وَكَانَ الشَّاهِدُ وَاثِقًا.

«هَلْ رَأَيْتَ مِنْ قَبْلُ رَجُلًا يُشَبِّهُ الْمُتَّهَمَ؟»  
«لَمْ أَرْ فِيمَنْ قَابَلْتُ شَبْهًا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّمْيِيزِ.»  
أَشَارَ الْمُحَامِي إِلَى سِدْنِي كَارْتْنِ، وَقَالَ: «أُنْظُرْ مَلِيًّا إِلَى صَدِيقِي هُنَاكَ، أَلَا تَرَى شَبْهًا قَوِيًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُتَّهَمِ؟» وَكَانَ سِدْنِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَدْ قَفَزَ مِنْ مَقْعَدِهِ وَرَفَعَ شَعْرَهُ الْمُسْتَعَارَ بِانْحِنَاءٍ.

لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الشَّاهِدِ غَيْرُ أَنَّ يَسْتَسْلِمَ وَيَسْحَبَ شَهَادَتَهُ.  
فَبُرَّتْ سَاحَةُ شَارْلَ دَارْنِي.



كَانَ عَلَى السَّيِّدِ لُورِي وَلُوسِي وَالْدُّكْتُورِ مَانِتِ أَنْ يَشْهَدُوا فِي الْمَحْكَمَةِ لِأَنَّهُمْ حِينَ عَادُوا إِلَى إِنْكِلْتَرَةِ قَبْلَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ كَانُوا عَلَى الْمَرْكَبِ نَفْسِهِ الَّذِي وَصَلَ عَلَيْهِ الْمُتَّهَمُ. وَدَمَعَتْ عَيْنَا لُوسِي، لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تُصَدِّقُ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ اللَّطِيفَ الَّذِي رَافَقَهُمْ فِي رِحْلَتِهِمْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ جَاسُوسًا. وَقَدْ رَدَّ شَارْلَ عَلَى التُّهْمِ بِقَوْلِهِ إِنَّ رِحْلَاتِهِ إِلَى إِنْكِلْتَرَةِ ذَاتُ طَابَعٍ عَائِلِيٍّ وَلَيْسَتْ لِلتَّجَسُّسِ. وَقَدْ اتَّهَمَهُ بِالتَّجَسُّسِ خَادِمُهُ وَرَجُلٌ آخَرُ اسْمُهُ جُون بَارْسَاد.

كَانَ مُحَامِي شَارْلَ يَسْتَجِوبُ أَحَدَ الشُّهُودِ حِينَ رَمَى إِلَيْهِ سِدْنِي كَارْتْنِ، فَجَاءَهُ، بِلُفَافَةٍ وَرَقٍ. قَرَأَ الْمُحَامِي الْوَرَقَةَ، ثُمَّ تَابَعَ اسْتِجْوَابَهُ قَائِلًا:



سِدتني كَارْتُنْ كَانَ يُحِبُّ لُوسِي أَيْضًا لَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ مَا يُقَدِّمُهُ لَهَا. فَكَادَ أَنْ يُبْغِضَ شَارْلَ دَارْتْنِي لِهَذَا الشَّبَهِ بَيْنَهُمَا ، وَلِأَنَّهُ لَوْلَاهُ لَرُبَّمَا كَانَ فَازَ بِقَلْبِ لُوسِي .

بَدَأَ سِدتني حَيَاتَهُ مُحَامِيًا نَابِهَا ، لَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَأَهْمَلَ عَمَلَهُ ، فَسَاءَ حَالُهُ . وَحِينَ وَقَعَ فِي حُبِّ لُوسِي ، شَعَرَ بِنَدَمٍ عَمِيقٍ عَلَى إِهْدَارِهِ عَمَلَهُ وَمُسْتَقْبَلِهِ .

وَالْتَقَاهَا ذَاتَ يَوْمٍ ، وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ أَنَّهَا سَتَقْتَرِنُ بِشَارْلَ ، وَبَاحَ لَهَا بِحُبِّهِ . وَكَانَتْ لُوسِي مُعْجَبَةً بِشَهَامَتِهِ فَرَجَّتْهُ أَنْ يُقْلَعَ عَنْ إِهْمَالِ نَفْسِهِ ، وَوَعَدَتْ بِأَنْ تَعْتَبِرَهُ دَائِمًا أَخًا وَصَدِيقًا .

نَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً جَادَّةً حَزِينَةً وَقَالَ : « تَذَكَّرِي دَائِمًا بِأَنْ هُنَاكَ رَجُلًا مُسْتَعِدًّا أَنْ يُقَدِّمَ حَيَاتَهُ فِي سَبِيلِ إِنْقَازِ مَنْ تُحِبِّينَ . » لَمْ تَفْهَمْ لُوسِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَعْنَى لِعِبَارَتِهِ تِلْكَ .



مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَخَذَ شَارْلَ دَارْتْنِي وَسِدتني كَارْتُنْ يَتَرَدَّدَانِ عَلَى بَيْتِ الدُّكْتُورِ مَانِتِ وَلُوسِي زَائِرَيْنِ . لَمْ يَكُنْ شَارْلَ يَرْغَبُ فِي الْعُودَةِ إِلَى فَرَنْسَةِ فَعَمِلَ مُدَرِّسًا لِلُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ . وَأَخَذَ يَتَوَدَّدُ إِلَى لُوسِي الَّتِي كَانَتْ هِيَ أَيْضًا مُعْجَبَةً بِهِ .

وَلَمْ تَكُنِ الْآنِسَةُ پَرُوسَ رَاضِيَةً عَنْ شَارْلَ ، وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ تُتَمَتِّمُ قَائِلَةً : « لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى عَشْرَاتِ الشُّبَّانِ الْفَاشِلِينَ يَأْتُونَ إِلَى هُنَا وَيَدُورُونَ حَوْلَ الْفَرَاشَةِ . »

وَكَانَ تَصَرُّفُ الدُّكْتُورِ مَانِتِ غَرِيبًا . فَقَدْ كَانَ يُحِبُّ شَارْلَ وَيَحْتَرِمُهُ ، وَلَكِنْ شَيْئًا أَقْلَقَهُ وَأَدْخَلَ فِي قَلْبِهِ الرَّوْعَ . فَكَانَتْ تَعُودُ إِلَيْهِ هَوَاجِسُهُ وَيَلْجَأُ إِلَى عُلَّتِيهِ ، وَيَسْهَرُ اللَّيْلَ يُصْلِحُ الْأَحْذِيَةَ . وَتِلْكَ عَلَامَةٌ عَلَى أَنَّ فِي الْأَمْرِ سُوءًا .



الزَّبَائِنُ يَلْعَبُونَ الْوَرَقَ . وَجَاءَ مِنَ الرَّيْفِ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ قَاتِلَ  
الْمَرْكُزِ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ الْقَبْضُ وَأُعْذِمَ شَنْقًا .

وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ دُوفَارِجُ تَحْتَفِظُ بِسِجِلٍّ عِنْدَهَا لِأَمْثَالِ هَذِهِ  
الْأَحْدَاثِ . فَإِنَّهَا كَانَتْ تَحْكُ أَسْمَاءَ الْمَسْئُولِينَ عَنِ الشُّرُورِ  
عِنْدَهَا حِيَائَةً دَقِيقَةً . وَدَخَلَ الْحَانُوتَ ، يَوْمًا ، جَاسُوسٌ لِلْإِنْكَلِيزِ  
هُوَ جُون بَارْسَادُ ، الَّذِي كَانَ قَدْ شَهِدَ فِي جُلُوسَةٍ بِمَحْكَمَةِ  
أُولْد بيلي ، وَسَأَلَ السَّيِّدَةَ عَنْ حِيَائَتِهَا قَائِلًا :

« تَحْكُيْنَ بِبِرَاعَةٍ ، يَا سَيِّدَتِي . »

« مَارَسْتُ ذَلِكَ طَوِيلًا . »

« هَلْ لِي أَنْ أَسْأَلَ لِمَ تَحْكُيْنَ ؟ »

« أَقْطَعُ الْوَقْتَ . » وَرَاحَتْ أَنْامِلُهَا تَتَحَرَّكُ بِرَشَاقَةٍ .

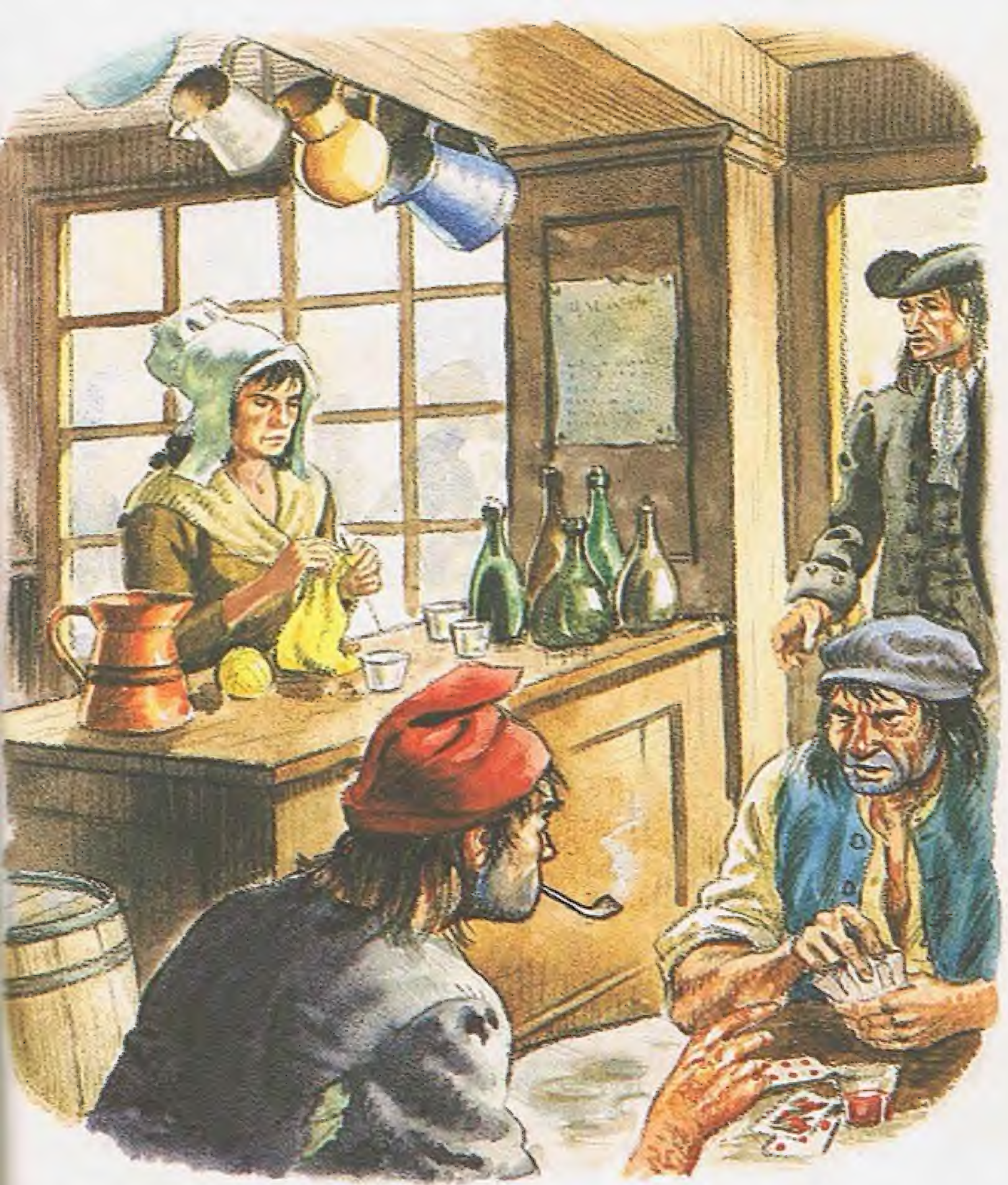
« أَلَا تَنْوِينِ الْإِفَادَةَ مِنْ حِيَائِكَ ؟ »

تَجَهَّمَتْ وَجْهَ السَّيِّدَةِ ، وَقَالَتْ : « قَدْ أُفِيدُ مِنْهَا يَوْمًا . »

وَصَلَ السَّيِّدُ دُوفَارِجُ فَتَلَقَّاهُ جُون بَارْسَادُ وَحَدَّثَهُ عَنْ لُوسِي ،  
ابْنَةِ الدُّكْتُورِ مَانِتَ ، وَأَنَّهَا سَتَتَزَوَّجُ شَارْلَ دَارْنِي ، ابْنَ أَخِي  
الْمَرْكُزِ الْقَتِيلِ أَفْرِيْمُونْدَ .

رَاحَتْ أَصَابِعُ السَّيِّدَةِ دُوفَارِجُ تَعْمَلُ بِسُرْعَةٍ حِينَ سَمِعَتْ  
النَّبَأَ ، وَحَاكَتْ اسْمَ شَارْلَ دَارْنِي . ثُمَّ لَفَّتْ صُوفَهَا وَوَضَعَتْهُ بِعِنَايَةٍ  
جَانِبًا .





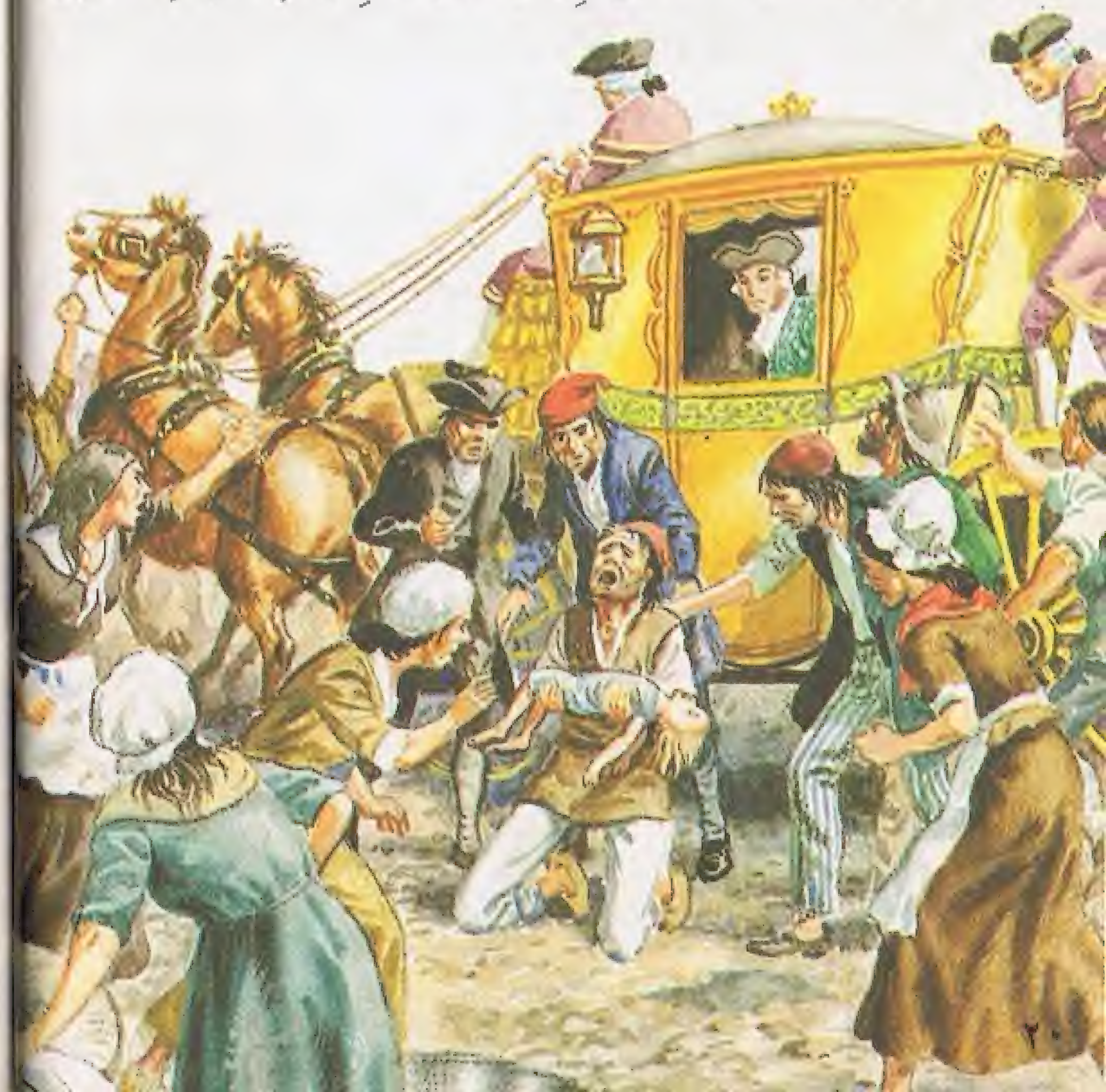
وفي أَحَدِ حَوَانِيتِ بَارِيسِ جَلَسَتِ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجُ ،  
كَعَادَتِهَا ، تَغْزِلُ الصُّوفَ خَلْفَ طَاوِلَةِ الْمَدْخَلِ ، بَيْنَمَا رَاحَ



## العاصفة في فرنسة تتجمع

لَمْ يَكُنِ النَّبَلَاءُ فِي فَرَنْسَةِ يُصَدِّقُونَ أَنَّ الْعَوَامَّ الْفُقَرَاءَ يُمَكِّنُ أَنْ يَثُورُوا عَلَيْهِمْ. فَكَانُوا يَعَامِلُونَ الْفَلَاحِينَ وَكَأَنَّ هَوْلَاءَ لَا مَشَاعِرَ إِنْسَانِيَّةً لَهُمْ.

كَانَ أَسْوَأُ أَوْلَئِكَ النَّبَلَاءِ الشَّرْسِينَ رَجُلٌ اسْمُهُ الْمَرْكِيزُ أَفْرِيْمُونْد. كَانَ ذَا وَجْهِ شَاحِبٍ يَقْطُرُ تَعَالِيًا، وَذَا ثِيَابٍ فَاخِرَةٍ أَبَدًا. وَكَانَتْ عَرَبَتُهُ تَنْطَلِقُ بِهِ فِي الرَّيْفِ بِسُرْعَةٍ مُخِيفَةٍ، فَتَرَى



النَّاسَ يَتَرَاكُضُونَ مِنْ أَمَامِهِ مَذْعُورِينَ.

وَذَاتَ يَوْمٍ، صَدَمَتْ عَرَبَتُهُ طِفْلَةً، وَرَاحَتْ تَجْرِهَا عَلَى الطَّرِيقِ. فَتَصَدَّى لِلْعَرَبَةِ فَرِيقٌ غَاظِبٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

أَطْلَ الْمَرْكِيزُ، وَسَأَلَ بِرُودَةٍ: «مَا الْأَمْرُ؟» وَرَأَى رَجُلًا طَوِيلًا، وَقَدْ ارْتَمَى عَلَى الْوَحْلِ، يَتَنَاوَلُ الطِّفْلَةَ الْمَيِّتَةَ وَيَجَارُّ كَمَا يَجَارُّ حَيَوَانَ بُرِّيٍّ جَرِيحٍ.

قَالَ الْمَرْكِيزُ بِاشْمِئزَازٍ: «لِمَ يَصْرُخُ هَذَا الصُّرَاخُ الْكَرِيهَ؟ هَلِ الطِّفْلَةُ ابْنَتُهُ؟ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَتَعَلَّمُوا كَيْفَ تُحَافِظُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَلَى أَوْلَادِكُمْ. لَا أَرَاكُمْ إِلَّا تَقِفُونَ فِي طَرِيقِنَا. مَا أَذْرَانِي الْآنَ أَنْكُمْ لَمْ تَتَسَبَّبُوا بِجَرْحِ جِيَادِي؟ أَعْطُوهُ هَذِهِ!» وَرَمَى إِلَى الطَّرِيقِ بِقِطْعَةٍ نَقُودٍ ذَهَبِيَّةٍ.

مَا إِنْ انْطَلَقَتِ الْعَرَبَةُ حَتَّى وَقَعَ فِيهَا شَيْءٌ مُحَدِّثًا رَيْنًا. كَانَ ذَلِكَ قِطْعَةً النَّقُودِ.

صَرَخَ الْمَرْكِيزُ فِي غَضَبٍ قَائِلًا: «مَنْ رَمَى ذَلِكَ؟»

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وُجِدَ الْمَرْكِيزُ مَقْتُولًا فِي سَرِيرِهِ بِطَعْنَاتٍ خِنْجَرٍ. وَوُجِدَ مَعَ الْخِنْجَرِ كَلِمَةٌ تَقُولُ:

«إِحْمِلُوهُ إِلَى قَبْرِهِ سَرِيعًا. هَدِيَّةٌ مِنْ - جَاك.»

و«جَاك» كَلِمَةُ السَّرَّاءِ الَّتِي كَانَ الْفُقَرَاءُ يَسْتَعْمِلُونَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ.



تَغْلِبَ سِدْنِي كَارْتُنْ عَلَى غَيْرَتِهِ مِنْ شَارْل ، وَرَغِبَ فِي أَنْ  
يَكُونَ صَدِيقًا مُخْلِصًا لِلْأُسْرَةِ . وَقَدْ رَحَّبَ شَارْل وَلُوسِي بِصَدَاقَةِ  
سِدْنِي ، لِأَنَّهُمَا كَانَا يَعْلَمَانِ بِأَنَّهُ شَهْمٌ طَيِّبُ الْقَلْبِ .

أُصِيبَ الدُّكْتُورُ مَانِتْ ، بَعْدَ زَوَاجِ ابْنَتِهِ ، بِنُوبَةٍ قَاسِيَةٍ مِنْ  
نُوبَاتِ هَوَاجِسِهِ ، فَعَادَ إِلَى عُلَّتَيْهِ يُصْلِحُ الْأَحْذِيَةَ . لَكِنَّهُ تَغْلِبَ  
تَدْرِيجًا عَلَى مِحْنَتِهِ ، وَعَادَ يَعْشُقُ مَعَ ابْنَتِهِ وَأُسْرَتِهَا عَيْشَةً رَضِيَّةً .  
وَمَرَّتْ سَنَوَاتٌ عَلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ الْهَانَةِ ، إِلَى أَنْ حَدَثَ أَمْرٌ كَانَ  
مُقَدَّرًا لَهُ أَنْ يُغَيِّرَ حَيَاتَهُمْ جَمِيعًا .



حِينَ سَمِعَ شَارْلَ بِمَضَرَعِ عَمِّهِ كَانَ يَسْتَعِدُّ لِعَقْدِ قِرَانِهِ عَلَى  
لُوسِي . وَهَكَذَا آلَ إِلَيْهِ لَقَبُ مَرَكِيزِ أَفْرِيْمُونْدَ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ  
عَمَّهُ سِرًّا لِقِسَاوَتِهِ وَسُوءِ مُعَامَلَتِهِ لِلْفَلَاحِينِ الَّذِينَ كَانَ هُوَ يَتَعَاطَفُ  
مَعَهُمْ . وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَى وَكِيلِ أَعْمَالِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ إِلَّا يَتَقاضَى أَجْرًا  
مِنَ الْفَلَاحِينِ . وَلَمْ يُطْلِعْ غَيْرَ الدُّكْتُورِ مَانِتْ عَلَى لَقْبِهِ الْجَدِيدِ ،  
وَزَلَّ يُعَرِّفُ بَيْنَ النَّاسِ بِاسْمِ شَارْلَ دَارْتْنِي .



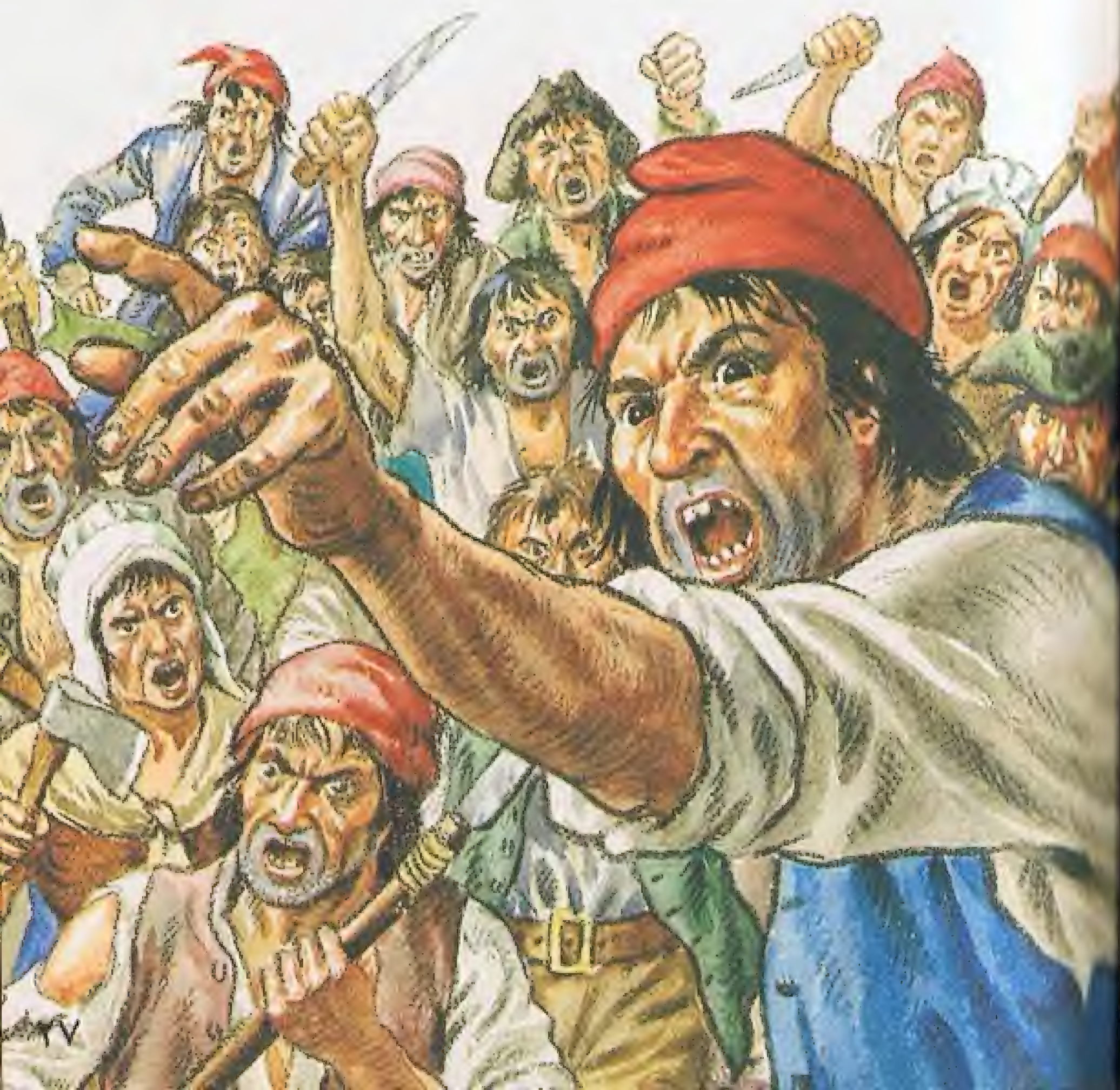
زَادَ الْأَمْرَ سُوءًا فِي فَرْنَسَةِ أَنَّ مَجَاعَةً ضَرَبَتْ الرِّيفَ الْفَرَنْسِيَّ الْجَمِيلَ. فَقَدْ كَانَ مَوْسِمُ الْقَمْحِ شَحِيحًا ذَلِكَ الْعَامَ. وَبَاتَ الْخُبْزُ نَادِرًا، فَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ قَادِرًا عَلَى الْحُصُولِ عَلَيْهِ. وَتَحَوَّلُوا إِلَى الْبَصْلِ وَالْأَعْشَابِ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ يَطْبُخُونَ خَلِيطًا عَجَبِيًّا مِنْهَا وَيَأْكُلُونَهُ. وَكَانَ يَزِيدُ فِي فَقْرِهِمُ الضَّرَائِبُ الْبَاهِظَةُ الَّتِي يَدْفَعُونَهَا لِلدَّوْلَةِ، وَرِجَالُ الدِّينِ، وَصَاحِبِ الْأَرْضِ الَّتِي يَعْمَلُونَ فِيهَا دُونَ مُقَابِلٍ. وَلَمْ تَكُنِ الْحَالُ فِي الْمُدُنِ أَفْضَلَ، فَلَا أَشْغَالَ وَلَا مُبَادَلَاتٍ تِجَارِيَّةً وَلَا طَعَامَ.

لَمْ يَكُنِ النُّبَلَاءُ وَلَا رِجَالُ الدِّينِ يَدْفَعُونَ ضَرَائِبَ. وَكَانَ عَلَى كُلِّ مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ مِنْ أَبْنَاءِ الشَّعْبِ أَنْ يَدْفَعَ الضَّرَائِبَ لِلْقِيَامِ بِحَاجَةِ قُصُورِ النُّبَلَاءِ وَالثِّيَابِ الْفَاحِشَةِ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا وَمَنَاتِ الْخَدَمِ الَّذِينَ يَخْدِمُونَهُمْ. كَانَ لَا بُدَّ لِلثَّوْرَةِ أَنْ تَتَفَجَّرَ، عَاجِلًا أَمْ آجِلًا. فَقَدْ كَانَ الْفُقَرَاءُ جَائِعِينَ نَاقِمِينَ، دُونَ أَنْ يَفْعَلَ أَحَدٌ شَيْئًا لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ. وَكَانَ يَحِقُّ لِلنُّبَلَاءِ أَنْ يَتَصَرَّفُوا فِي حَيَاةِ الْفُقَرَاءِ، وَحَيَاةِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُعَارِضُونَهُمْ، فَيَقْتُلُوهُمْ أَوْ يَسْجُنُوهُمْ مَدَى الْحَيَاةِ فِي الْبَاسْتِيلِ أَوْ سِوَاهُ مِنَ السُّجُونِ.

كَانَ هَيَاجُ الشَّعْبِ فِي أَرْقَى بَارِيسَ، بِفِعْلِ تِلْكَ الْمُمَارَسَاتِ، قَدْ بَلَغَ ذُرْوَتَهُ. فَارْتَفَعَ هَدِيرُ مُخِيفٍ فِي شَوَارِعِ

الْمَدِينَةِ، وَمَاجَتْ غَابَةٌ مِنَ الْأَسْلِحَةِ الْحَادَّةِ، وَاهْتَزَّتْ فِي الْهَوَاءِ. وَكَانَ النَّاسُ يَتَلَقَّفُونَ مَا يَقَعُ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَدَوَاتٍ قَاطِعَةٍ: سَكَكِينَ، قُضْبَانٍ حَدِيدِيَّةٍ، فُؤُوسٍ وَحَتَّى حِجَارَةِ الْجُدْرَانِ.

جَاشَ الْجُمْهُورُ حَوْلَ حَانُوتِ دُوفَارْجَ، الَّذِي كَانَ مَرَكَزَ التَّحْرُكِ، كَمَا يَجِيشُ الْإِعْصَارُ. وَكَانَ دُوفَارْجُ يُصْدِرُ أَوَامِرَهُ إِلَى جَاكِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثِ. أَمَّا السَّيِّدَةُ دُوفَارْجُ فَكَانَتْ، هَذِهِ الْمَرَّةَ، تَحْمِلُ فَأْسًا بَدَلَ شُغْلِ الصُّوفِ.





صاحَ دوفارج بِصَوْتِهِ الْأَجَشَّ الْقَوِيَّ: «أَيُّهَا الْمُواطِنُونَ  
وَالْأَصْدِقَاءُ، نَحْنُ جَاهِزُونَ! إِلَى الْبَاسْتِيلِ!»

إِنْدَفَعَ الْجُمْهُورُ الْغَاضِبُ بِهَدِيرٍ مُخِيفٍ نَحْوَ السَّجْنِ الْبَغِيضِ.  
لَقَدْ بَدَأَ الْهُجُومُ. كَانَ الدُّخَانُ يَتَصَاعَدُ وَالنَّارُ تَسْتَعِرُ وَالْأَجْرَاسُ  
تُقْرَعُ وَالطَّبُولُ تُضْرَبُ. كَانَ قَدْ احْتَشَدَ الْآنَ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ  
أَلْفَ جَاكٍ، جَمِيعُهُمْ قَذَفُوا بِأَنْفُسِهِمْ إِلَى قَلْبِ الْهُجُومِ بِقِيَادَةِ  
دوفارج وزَوْجَتِهِ.

ظَلَّ بَحْرُ الْإِنْتِقَامِ الرَّهِيبِ، طَوَالَ خَمْسِ سَاعَاتٍ، يَضْرِبُ  
أَسْوَارَ السَّجْنِ، إِلَى أَنْ ارْتَفَعَ عِلْمٌ أَبْيَضٌ بِالْإِسْتِسْلَامِ. وَحَمَلَ  
الْمَدُّ الْبَشَرِيُّ الْمُهَاجِمُ دوفارج إِلَى الْجِسْرِ الْمُتَحَرِّكِ ثُمَّ إِلَى دَاخِلِ  
السَّجْنِ، وَالْأَصْوَاتُ تَهْدُرُ مُرَدَّدَةً:

«إِلَى الْأَسْرِ!»

«إِلَى السَّجَلَاتِ!»

«إِلَى الزُّنَانَاتِ السَّرِيَّةِ!»

«إِلَى مُعَدَّاتِ التَّعْذِيبِ!»





أَمَّا دوفارج فكان يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ .

صاحَ في وَجْهِ أَحَدِ السَّجَّانِينَ قَائِلًا : « أَرِنِي الطَّرِيقَ إِلَى البُرْجِ الشَّمَالِيِّ ، الزَّنْزَانَةِ ١٠٥ ! » فَقَادَهُ السَّجَّانُ المَذْعُورُ إِلَى الزَّنْزَانَةِ الَّتِي كَانَ الدُّكْتُورُ مَانِتُ نَزِيلَهَا . فَتَشَّ دوفارج الزَّنْزَانَةَ تَفْتِيشًا دَقِيقًا ، فَعَثَرَ عَلَى أَوْرَاقٍ مُخَبَّأَةٍ خَلْفَ حَجَرٍ مِنْ حِجَارَةِ المِدْخَنَةِ .  
حَدَثَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي ١٤ تَمُوزَ (يُولْيَةِ) ، عَامَ ١٧٨٩ .



أَقْلَقَتِ الأَحْدَاثُ السَّيِّدَ لوريَ كَثِيرًا . وَقَدْ عَادَ إِلَى لَنْدَنَ فِي العَامِ ١٧٩٢ جَالِبًا مَعَهُ رِسَالَةً مِنْ بَارِيسَ مُوجَّهَةً إِلَى المَرْكِيزِ أَفْرِيْمُونْدَ . فَأَرَى شَارْلَ دَارْنِي الرِّسَالَةَ عَلَّهْ يَعْرِفُ صَاحِبَهَا .  
قَالَ شَارْلُ : « أَنَا أَوْصِلُ الرِّسَالَةَ . » دُونَ أَنْ يَكْشِفَ حَقِيقَةَ شَخْصِيَّتِهِ . وَعِنْدَمَا خَلَا بِنَفْسِهِ فَتَحَ الرِّسَالَةَ وَقَرَأَهَا ، ثُمَّ صَاحَ :  
« عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى فَرَنْسَةِ حَالًا ! »

كَانَتِ الرِّسَالَةُ مِنْ وَكِيلِ أَعْمَالِهِ چَابِيلَ ، الَّذِي أُدْخِلَ السَّجْنَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى شَارْلَ يَسْأَلُهُ العَوْنَ .

لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِ شَارْلَ أَنْ يَخْذَلَ وَكِيلَ أَعْمَالِهِ ، فَارْتَحَلَ ، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَفْسَهَا ، إِلَى فَرَنْسَةِ .





وَصَلَ شَارْلُ فَرَنْسَةَ فَعَرَفَ أَنَّ الشَّعْبَ تَوَلَّى السُّلْطَةَ وَزَجَّ  
بِالْمَلِكِ فِي السَّجْنِ. لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهِ التَّجَوُّلُ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ  
يُؤَكِّدُ أَنَّهُ مُوَاطِنٌ صَالِحٌ. فَأَوْقَفَهُ حَرَسٌ جُفَاءً يَلْبَسُونَ طَاقِيَاتٍ  
حَمْرَاءَ وَاقْتَادُوهُ إِلَى بَارِيسَ. وَهُنَاكَ اسْتَوْقَفَتْهُ الْجُمُوعُ وَصَرَخَتْ فِي  
وَجْهِهِ ، وَكَلَّفَ الْمُواطِنُ دُوفَارْجَ تَوَلَّى أَمْرِهِ .

سَأَلَ دُوفَارْجَ عَنْ أَوْرَاقِ السَّجِينِ. وَحِينَ رَأَاهَا عَرَفَ شَخْصِيَّةَ  
شَارْلَ الْحَقِيقِيَّةَ. فَأَرْسَلَهُ إِلَى ضَابِطٍ آخَرَ. وَهُنَاكَ أُخْبِرَ أَنَّ لَا  
حُقُوقَ لَهُ بِاعْتِبَارِهِ مِنَ النَّبَلَاءِ ، وَأَنَّهُ سَيُسَجَّنُ فِي زِنْرَانَةٍ مُنْفَرِدَةٍ .  
وَكَانَ دُوفَارْجَ قَدْ سَأَلَهُ إِنْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ فِعْلًا ابْنَةُ الدُّكْتُورِ  
مَانِتَ . فَرَدَّ شَارْلُ بِالِإِيجَابِ . عِنْدَئِذٍ قَالَ دُوفَارْجَ :  
«وَهَلْ أَنْتَ مَجْنُونٌ لَتَعُودَ إِلَى هُنَا وَتُعَرِّضَ نَفْسَكَ لِخَطَرِ  
الْمَوْتِ تَحْتَ الْمِقْصَلَةِ؟»

أَخْبَرَهُ شَارْلُ بِأَنَّهُ عَادَ لِيُسَاعِدَ وَكِيلَ أَعْمَالِهِ ، وَرَجَاهُ أَنَّ  
يَحْمِلَ رِسَالَةً مِنْهُ إِلَى مَكْتَبِ السَّيِّدِ لُورِي فِي بَارِيسَ . لَكِنَّ  
دُوفَارْجَ رَدَّ بِعُبُوسٍ قَائِلًا :

«لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . إِنْ وَاجِبِي هُوَ تَجَاهَ بَلَدِي .»  
كَانَ سَجْنُ لَافُورْسَ كَثِيبًا ، مُعْتَمًا وَسِخًا ، تَفُوحُ مِنْهُ رَوَائِحُ  
كَرِيهَةٌ . مَرَّ شَارْلُ عَبْرَ غُرْفَةٍ طَوِيلَةٍ مُقَوَّسَةٍ السَّقْفِ تَعْبُجُ بِالسَّجَنَاءِ



مِنَ الْجَنْسَيْنِ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ مِنَ النَّبَلَاءِ الَّذِينَ حَافَظُوا فِي السَّجْنِ  
عَلَى تَصَرُّفِهِمُ اللَّائِقِ ، وَكَبِيرِيائِهِمْ ، وَحَتَّى عَلَى ثِيَابِهِمُ الَّتِي كَانَتْ  
ذَاتَ يَوْمٍ ثِيَابًا فَاخِرَةً . قَالَ شَارْلُ فِي نَفْسِهِ حِينَ رَأَاهُمْ : «مَا  
أَشْبَهَهُمْ بِالْأَشْبَاحِ ! لَا شَكَّ أَنَّهُمْ مَيِّتُونَ !»

أُودِعَ فِي زِنْرَانَةٍ مُنْفَرِدَةٍ وَمُنِعَ عَنْهُ مَا يَكْتُبُ بِهِ . فَعَلِمَ ،  
عِنْدَئِذٍ ، أَنَّ لَا رَجَاءَ فِي عَدَالَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ ، وَأَنَّ الْمَوْتَ آتٍ لَا  
مَحَالَةَ .



وَقَالَ الدُّكْتُورُ مَانِتَ : «لَقَدْ كُنْتُ نَزِيلَ الْبَاسْتِيلِ ، فَلَنْ  
يَتَعَرَّضَ لِي أَحَدٌ فِي بَارِيسَ . أَتَيْتُ أُخَلِّصُ شَارْلَ .»

ثُمَّ نَزَلَ إِلَى السَّاحَةِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْجُمْهُورُ الْمُتَعَطِّشُ لِلدَّمَاءِ  
بِالْهَتَافِ . فَدَعَاهُمْ إِلَى إِنْقَازِ شَارْلَ دَارْنِي . حَمَلَهُ الْجُمْهُورُ  
بِحِمَاسَةٍ وَمَشَى ، بَيْنَمَا بَقِيَتْ لُوسِي وَطِفْلَتُهَا وَالسَّيِّدُ لُورِي فِي  
اِنْتِظَارِ عَوْدَتِهِ .

عَادَ دُوفَارْجَ فِي الصَّبَاحِ وَمَعَهُ رِسَالَةٌ مِنَ الدُّكْتُورِ مَانِتَ .  
وَفِيهَا : «شَارْلَ بِخَيْرٍ . لَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أَتَرَكَ هَذَا  
الْمَكَانَ .» وَاصْطَحَبَ دُوفَارْجَ مَعَهُ زَوْجَتَهُ ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا لُوسِي  
وَقَبَلَتْ يَدَهَا الْبَارِدَةَ الثَّقِيلَةَ امْتِنَانًا .

سَأَلَتِ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجَ ، وَهِيَ تُشِيرُ إِلَى الطِّفْلَةِ بِصِنَارَةِ الْحَيَاكَةِ  
الَّتِي بَدَتْ كَأَنَّهَا إَصْبَعُ الْقَدَرِ : «أَهْذِهِ ابْنَتُهُ؟»  
تَوَسَّلَتْ إِلَيْهَا لُوسِي قَائِلَةً : «سَاعِدِينِي ، أَرْجُوكِ ! إِعْتَبِرِينِي أُخْتًا  
لَكَ .»

«لَقَدْ رَأَيْنَا أَخَوَاتِنَا يَشْقِينَ طَوَالَ حَيَاتِهِنَّ . فَلَنْ يَضِيرَنَا أَنْ تَشْقَى  
أُخْتُ أُخْرَى .» ثُمَّ خَرَجَتْ ، وَهِيَ لَا تَزَالُ تَحُوكُ بِصُوفِهَا .  
أَحْسَتِ لُوسِي بِاضْطِرَابٍ شَدِيدٍ ، وَقَالَتْ : «هَذِهِ الْمَرْأَةُ  
الْمُخِيفَةُ أَدْخَلَتِ الْيَأْسَ إِلَى قَلْبِي .»



فِي السَّاحَةِ الَّتِي يُشْرِفُ عَلَيْهَا مَكْتَبُ السَّيِّدِ لُورِي فِي بَارِيسَ ،  
كَانَتْ تُسْمَعُ أَصْوَاتٌ مُرْعِبَةٌ صَادِرَةٌ عَنْ شَحَذِ السَّكَاكِينِ  
وَالْفُؤُوسِ .

دَبَّ الرُّعْبُ فِي قَلْبِ السَّيِّدِ لُورِي وَقَالَ : «سَيَقْتُلُونَ السُّجَنَاءَ !»  
فَجَاءَتْ ، دَخَلَ الدُّكْتُورُ مَانِتَ وَلُوسِي وَمَعَهُمَا بِنْتُ صَغِيرَةٌ .  
«مَاذَا جَرَى؟ مَا الَّذِي جَاءَ بِكُمْ إِلَى بَارِيسَ؟»

صَاحَتْ لُوسِي : «زَوْجِي !»



صَارَتْ لَوْسِي تَأْخُذُ ابْنَتَهَا وَتَذْهَبُ يَوْمِيًّا إِلَى السَّاحَةِ الْمُجَاوِرَةِ  
لِلسَّجْنِ فَتَمْشِي هُنَاكَ ، وَتَنْظُرُ إِلَى شَبَاكِ زِنْرَانَةِ زَوْجِهَا فِي الطَّابِقِ  
الْعُلَوِيِّ . وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجُ تُرَاقِبُهَا ، وَقَدْ عَقَدَتْ الْعَزْمَ عَلَى  
أَلَّا تَدَعَ أَحَدًا مِنْ أَفْرَادِ تِلْكَ الْأُسْرَةِ يَنْجُو مِنَ الْمِقْصَلَةِ .

كَانَ النُّبْلَاءُ يُسَاقُونَ إِلَى الْمِقْصَلَةِ فِي عَرَبَاتٍ . تَتَوَقَّفُ الْعَرَبَةُ  
أَمَامَ سِقَالَةٍ عَالِيَةٍ ، ثُمَّ يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فَيَجْثُو عَلَى رُكْبَتَيْهِ ،  
وَيُثَبَّتُ رَأْسُهُ إِلَى مَنَصَّةٍ . ثُمَّ يُسْقَطُ نَضْلٌ قَاطِعٌ ثَقِيلٌ مُتَّصِلٌ  
بِبَكْرَةٍ ، فَيَنْدَفِعُ مُتْسَارِعًا فِي سُقُوطِهِ إِلَى عُنُقِ الضَّحِيَّةِ ، فَيَنْفَصِلُ  
الرَّأْسُ عَنِ الْجَسَدِ وَيَقَعُ فِي سَلَّةٍ . وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجُ وَالنِّسَاءُ  
الْأُخْرَيَاتُ يَعْذُدْنَ الرُّؤُوسَ الْوَاقِعَةَ ، دُونَ أَنْ يَتَوَقَّفْنَ عَنْ حَيَاكَةِ  
الصُّوفِ ، وَيُرَدِّدْنَ : « الْمِقْصَلَةُ خَيْرٌ دَوَاءً لِلصَّدَاعِ . »





«نريدُ المُواطِنَ أَفْرِيْمُونْدَ ، المَعْرُوفَ بِدارني .»

«مَنْ يُريدُهُ؟»

«أَعْرِفُكَ يا أَفْرِيْمُونْدَ . رَأَيْتَكَ اليَوْمَ تَمَثِّلُ أَمَامَ المَحْكَمَةِ .»

سَتَعُودُ إلى سِجْنِ الشَّعْبِ مَرَّةً أُخْرَى .»

«لِمَاذَا؟ ما الَّذِي حَدَثَ؟»

«أَنْتَ مُتَّهَمٌ . اتَّهَمَكَ المُواطِنُ دُوفَارْجُ وَالمُواطِنَةُ دُوفَارْجُ

وَرَجُلٌ آخَرٌ .»

«أَيُّ رَجُلٍ؟»

«غَدًا تَعْلَمُ . لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجَاوِبَكَ .»

وَاقْتِيدَ شَارْلَ إلى السِّجْنِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَكِنْ هَذِهِ المَرَّةَ إلى

سِجْنِ كَنْسِيرْجِي .



أَخِيرًا ، مَثَلَ شَارْلَ أَمَامَ مَحْكَمَةِ الشَّعْبِ . وَقَدْ شَهِدَ فِي صَالِحِهِ كُلُّ مِنَ الدُّكْتُورِ مَانِتِ وَالسَّيِّدِ لُورِي وَوَكِيلِ أَعْمَالِهِ جَابِيلَ . فَحَكَمَتِ المَحْكَمَةُ بِبِرَائَتِهِ وَأُطْلِقَ سَرَّاحُهُ ، وَحَمَلَتْهُ الجَمَاهِيرُ المُتَحَمِّسَةُ إلى حَيْثُ يُقِيمُ .

أَحْسَّ الدُّكْتُورُ مَانِتَ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : «لَقَدْ تَمَكَّنْتُ مِنْ إِنْقَاذِهِ .»

غَيْرَ أَنَّ سَعَادَتَهُمْ لَمْ تَطُلْ . فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، سُمِعَ قَرَعٌ عَنيفٌ عَلَى البابِ ، وَدَخَلَ الغُرْفَةَ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ جُفَاءَ يَلْبَسُونَ طَاقِيَاتٍ حُمْرَاءَ ، وَيَحْمِلُونَ مُسَدَّسَاتٍ وَسُيُوفًا .



كَانَ جَرِي كَرْنُشَر ، خَادِمُ السَّيِّدِ لُورِي ، فِي مُهِمَّةٍ أَرْسَلَهُ بِهَا  
سَيِّدُهُ ، أَثْنَاءَ وَقُوعِ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ . فَجَاءَهُ ، رَأَى فِي الطَّرِيقِ  
وَجْهًا يَعْرِفُهُ . نَادَاهُ وَقَالَ : « أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ! أَنَا أَعْرِفُكَ ! أَنْتَ  
الشَّاهِدُ الْكَاذِبُ فِي مَحْكَمَةِ أُولْد بيلي - مَا كَانَ اسْمُكَ ؟ »

وَسَمِعَ صَوْتُ آخَرَ يَقُولُ : « بَارْسَاد . » كَانَ الْمُتَكَلِّمُ سَيِّدِي  
كَارْتُن . ثُمَّ تَابَعَ قَوْلَهُ :



« لَقَدْ رَأَيْتُكَ يَا سَيِّدُ بَارْسَاد تَخْرُجُ مِنْ سِجْنِ كُنْسِيرِجَرِي مِنْذُ  
سَاعَةٍ أَوْ نَحْوِهَا . إِنَّ لَكَ وَجْهًا مُمَيَّزًا . تَبِعْتُكَ إِلَى حَانُوتِ  
دُوفَارْج ، وَفَهِمْتُ ، مِمَّا تَنَاهَى إِلَيَّ مِنْ حَدِيثٍ ، طَبِيعَةَ عَمَلِكَ .  
أَتَأْذَنُ لِي بِدَقَائِقَ مِنْ وَقْتِكَ نَذْهَبُ فِيهَا إِلَى مَكْتَبِ السَّيِّدِ لُورِي فِي  
الْمَصْرِفِ ؟ »

شَحَبَ وَجْهَ الْجَاسُوسِ ، وَقَالَ ، وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يُخْفِيَ  
خَوْفَهُ : « أَتَهْدِدُنِي ؟ »

كَانَ بَارْسَادُ سَجَانًا فِي السِّجْنِ الَّذِي احْتُجِزَ فِيهِ شَارْل .  
وَحَطَرَتْ لِكَارْتُنِ خُطَّةٌ يَسْتَفِيدُ فِيهَا مِنْهُ . فَقَدْ كَانَ هُوَ وَجَرِي  
يَعْرِفَانِ عَنْ مَاضِي بَارْسَادِ أَشْيَاءَ تَدِينُهُ أَمَامَ الْمَحْكَمَةِ . فَلَمْ يَكُنْ  
أَمَامَ الْجَاسُوسِ إِلَّا الْمُوَافَقَةَ عَلَى مَا طُلِبَ مِنْهُ .

وَكَانَتْ خُطْوَةُ كَارْتُنِ التَّالِيَةِ أَنَّهُ أَعْلَمَ السَّيِّدَ لُورِي بِنِهَا إِقَاءِ  
الْقَبْضِ مُجَدِّدًا عَلَى شَارْل ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَعْتَنِيَ بِأَمْرِ لُوسِي . غَيْرَ  
أَنَّهُ لَمْ يُحَاوِلْ هُوَ نَفْسَهُ أَنْ يَرَاهَا .

بَلْ إِنَّهُ رَاحَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَقْطَعُ شَوَارِعَ بَارِيسَ بَحْثًا عَنْ بَائِعِ  
أَدْوِيَةٍ . أَخِيرًا وَجَدَ وَاحِدًا ، فَاشْتَرَى مِنْهُ مُخَدَّرًا ثَقِيلًا .

قَالَ فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْقَمَرِ : « مَا عَادَ أَمَامِي شَيْءٌ  
أَعْمَلُهُ اللَّيْلَةَ ، فَالِي غَدٍ . »

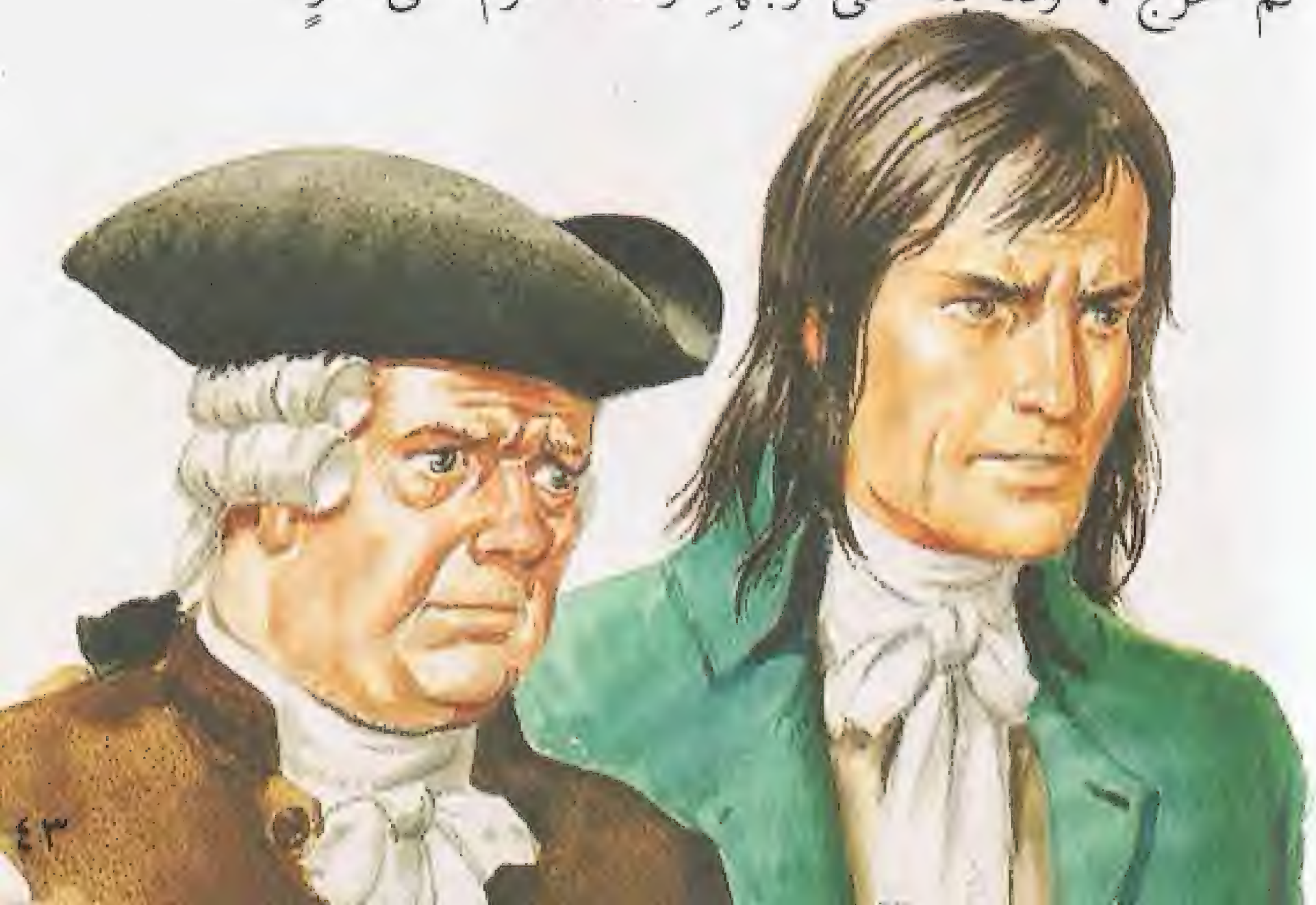


شاهد ما حدث ، فأرسله الأخوان أفريموند إلى الباستيل ليضمنا  
سكوته. ولما كان شارل هو الفرد الوحيد الذي لا يزال على قيد  
الحياة من هذه الأسرة ، فقد كان عليه أن يدفع ثمن جريمة  
أسرته من حياته ، رغم أنه لم يكن يعرف شيئاً عن تلك  
الجريمة ، وأنه حين حدثت كان لا يزال طفلاً.

أخيراً ، أدرك شارل. لم أصابت الدكتور مانت حالة من  
الاكتئاب الشديد عند زواج ابنته. فإنه هو نفسه كان أخبره  
بإنتمائه إلى أسرة أفريموند. كذلك فهم سبب الكراهية التي  
تكنها له السيدة دوفارج ، فالفتاة والصبي كانا أخويها.

قال السيد لوري لسدني : « لا أمل. سيقتلونه. »

أجاب سدني : « نعم سيقتلونه. لا أمل بالمعنى الصحيح. »  
ثم خرج ، وقد بدا على وجهه وكأنه عزم على أمر.



في الصباح ، توجه كارثن إلى المحكمة. وهناك سمع اسم  
الشخص الثالث الذي وجه الاتهام إلى شارل. ولم يكن غير  
الدكتور مانت. الدكتور مانت نفسه لم يكن يعرف شيئاً عن  
الأمر. فإن دوفارج قدم الاتهام باسمه مبرزاً الأوراق التي وجدها  
في زنزانة الطبيب في سجن الباستيل. والأوراق تكشف هويته  
الذين رموه في السجن. ولم يكن الدكتور مانت قادراً على إنكار  
الأوراق ، فإنها بخط يده.

كان الأخوان أفريموند ، والد شارل وعمه ، مسؤولين عن  
رمي الدكتور مانت في السجن. فقد تسببوا في مقتل فتاة فلاحه  
بريئة ومقتل أخيها الذي حاول الدفاع عنها. واتفق أن الطبيب



عَلِمَ كَارْتُن ، حِينَ عَادَ إِلَى مَكْتَبِ السَّيِّدِ لُورِي ، أَنَّهُمْ لَا  
يَجِدُونَ الدُّكْتُورَ مَانِتَ . ثُمَّ ، فَجْأَةً ، سَمِعُوا وَقَعَ خُطُواتِهِ وَهُوَ  
يَنْزِلُ مِنْ غُرْفَةِ عُلُويَّةٍ . وَبَدَأَ مِنْ هَيْئَتِهِ أَنَّ الْمَسْكِينَ فَقَدْ ذَاكِرَتُهُ  
مُجَدِّدًا وَعَادَتُ إِلَيْهِ هَوَاجِسُهُ :

« لَا أَجِدُهَا ، أُرِيدُهَا الْآنَ ! أَيْنَ هِيَ ؟ » وَكَانَ يَبْحَثُ عَنْ  
عُدَّةِ الْإِسْكَافِيِّ الَّتِي كَانَتْ الشَّيْءَ الْوَحِيدَ الَّذِي أَبْعَدَ عَنْهُ الْجُنُونَ  
فِي السَّجْنِ الرَّهيبِ .

قَالَ كَارْتُنُ مُخَاطِبًا السَّيِّدَ لُورِي : « لَا يَقْدِرُ عَلَى مُسَاعَدَتِنَا  
الْآنَ . الْأَفْضَلُ أَخْذُهُ إِلَى لُوسِي . اِسْمَعْنِي وَافْعَلْ مَا أَقُولُهُ لَكَ .  
سَتَعْلَمُ ، فِيمَا بَعْدُ ، أَنَّ لِمَا أَطْلَبُهُ مِنْكَ تَفْسِيرًا مُقْنِعًا . »



فَتَشَأْ عَنْ تَضَرُّعِ الدُّكْتُورِ مَانِتِ لِلْخُرُوجِ مَعَ ابْنَتِهِ مِنْ  
بَارِيسَ ، فَوَجَدَاهُ . وَكَانَ لَدَى سِدْنِي تَضَرُّعٌ هُوَ الْآخِرُ ، فَأَعْطَاهُ  
لِلسَّيِّدِ لُورِي طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَحْتَفِظَ لَهُ بِهِ .

وَقَالَ : « سَأَزُورُ شَارْلَ فِي سِجْنِهِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ  
أُخَاطِرَ بِضَيَاعِ التَّضَرُّعِ مِنِّي »

« أَتَظُنُّ أَنَّ لُوسِي وَالطِّفْلَةَ فِي خَطَرٍ أَيْضًا ؟ »

« نَعَمْ ، مِنْ السَّيِّدَةِ دُوفَارْجَ . عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِلسَّفَرِ  
فِي الثَّانِيَةِ مِنْ صَبَاحِ الْغَدِ . أَقْنِعْ لُوسِي أَنَّ تَرْتَحِلَ هِيَ وَالطِّفْلَةَ  
وَالدُّكْتُورَ مَانِتَ مَعَكَ . أَخْبِرْهَا أَنَّكَ تُنْفِذُ رَغْبَةَ شَارْلَ . اِنْتَظِرْنِي ،  
وَأَنْطَلِقْ لِحِظَةٍ وَصُولِي . »







الرَّسَالَةُ : «رُبَّمَا تَذْكُرِينَ كَلِمَاتٍ كُنْتُ قُلْتُهَا لَكَ . حِينَ تَرَيْنَ هَذِهِ الرَّسَالَةَ سَتَفْهَمِينَ مَعْنَى تِلْكَ الْكَلِمَاتِ . أَحْمَدُ رَبِّي أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِأَبْرِهِنَ لَكَ أَنِّي كُنْتُ صَادِقًا فِي وَعْدِي لَكَ .»

وَبَيْنَمَا كَانَ شَارْلُ مُنْهَمِكًا فِي الْكِتَابَةِ ، اقْتَرَبَ مِنْهُ كَارْتُنُ وَسَدَّ وَجْهَهُ بِمِنْدِيلٍ مُشْبَعٍ بِالْمُخَدَّرِ الَّذِي كَانَ قَدْ اشْتَرَاهُ . سَقَطَ شَارْلُ عَلَى الْأَرْضِ فَاقِدًا الْوَعْيَ . فَأَخْرَجَهُ بَارْسَادُ ، الَّذِي كَانَ سَمَحَ لَكَارْتُنَ بِالتَّسَلُّلِ إِلَى السَّجْنِ ، وَبَقِيَ كَارْتُنُ فِي الزَّنْزَانَةِ .



كَانَ شَارْلُ دَارْنِي يُمَضِي لَيْلَتَهُ الْأَخِيرَةَ فِي السَّجْنِ يَكْتُبُ إِلَى زَوْجَتِهِ رِسَالَةً وَدَاعٍ . فِي الْيَوْمِ التَّالِي كَانَ سَيَسْقُطُ اثْنَانِ وَخَمْسُونَ رَأْسًا ، فِي جُمْلَتِهَا رَأْسُهُ هُوَ . رَاحَ يُنْصِتُ إِلَى السَّاعَةِ تَعْدُ السَّاعَاتِ . فَجَاءَتْ ، انْفَتَحَ بَابُ زَنْزَانَتِهِ ، وَبَرَزَ مِنْهُ سِدْنِي كَارْتُنُ يَبْتَسِمُ ، وَقَدْ وَضَعَ إصْبَعَهُ عَلَى شَفْتَيْهِ .

«أَتَيْتُكَ بِرِسَالَةٍ مِنْ زَوْجَتِكَ . افْعَلْ مَا أَقُولُهُ لَكَ تَمَامًا . لَيْسَ لَدَيَّ وَقْتُ أَضِيعُهُ .»

ثُمَّ تَبَادَلَ مَعَهُ الثِّيَابَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُقْلِدَهُ فِي تَسْرِيحَةِ شَعْرِهِ . ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى لُوسِي رِسَالَةً مِنْ إِمْلَائِهِ هُوَ . تَقُولُ

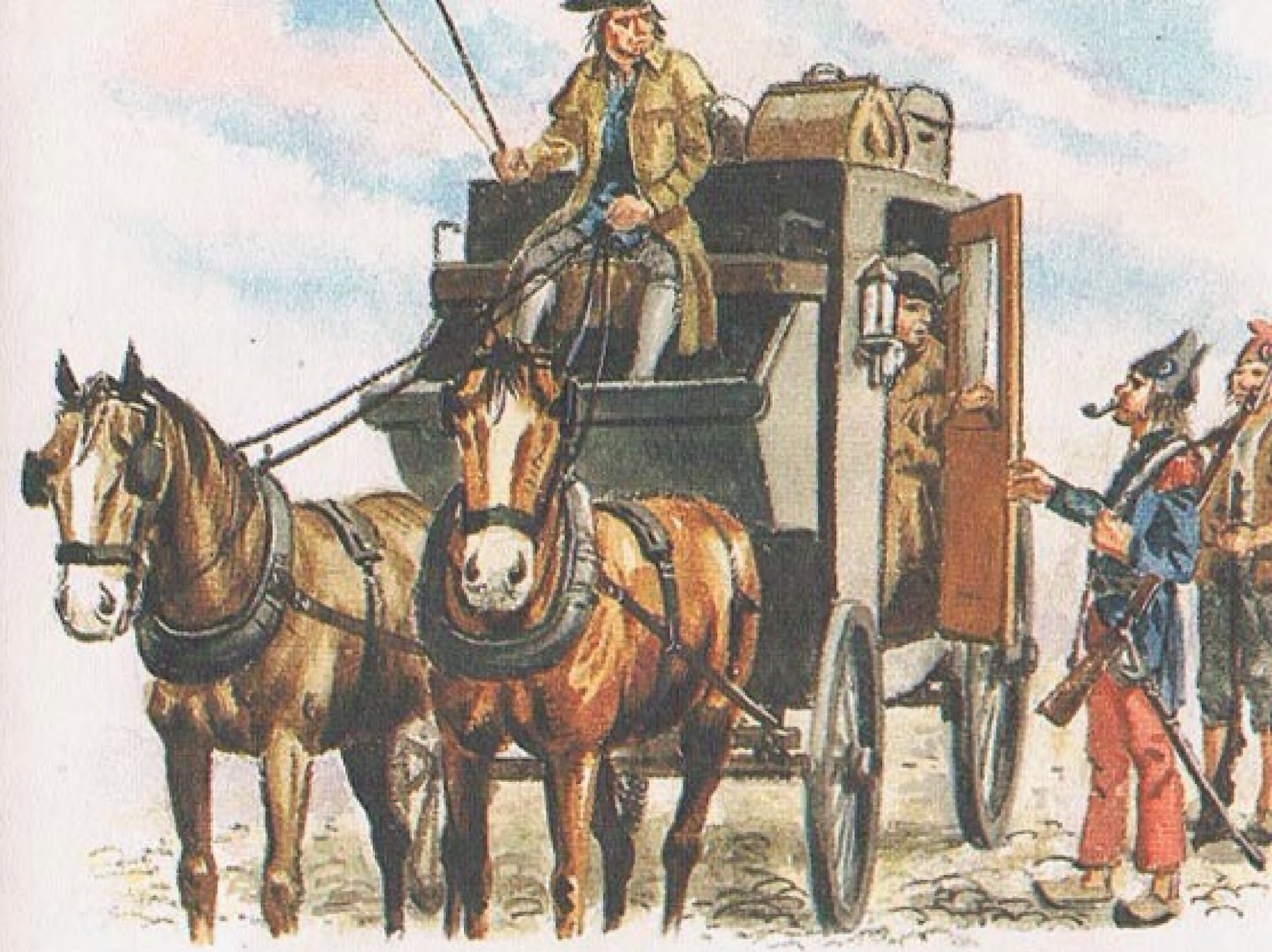


مَرَّتْ عَرَبَاتُ الْمَوْتِ تُجَلِّجُلُ فِي شَوَارِعِ بَارِيسَ جَلْجَلَةً  
جَوْفَاءَ أَلِيْمَةٍ .

«أَيُّهُمْ شَارْلُ أَفْرِيْمُونْد؟»

«ذَاكَ الَّذِي يُمْسِكُ يَدَ الصَّبِيَّةِ .»

«لَيْسَقُطْ آلُ أَفْرِيْمُونْد ! إِلَى الْمِقْصَلَةِ أَيُّهَا النَّبِيلُ الشَّرِيرُ !»



تَفَحَّصَ الْحَرَسُ عَلَى أَبْوَابِ بَارِيسِ الْعَرَبَةَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا  
السَّيِّدُ لُورِي وَلُوسِي وَأُسْرَتُهَا ، وَالَّتِي كَانَتْ فِيهَا أَيْضًا رَجُلٌ نَائِمٌ  
يَحْمِلُ أَوْرَاقَ سِدْنِي كَارْتُنْ - وَكَانَ فِي الْحَقِيقَةِ شَارْلُ . وَرَاحَ  
الْحَرَسُ يَضْحَكُونَ مِنْ ذَلِكَ النَّائِمِ الَّذِي لَمْ يَعْرِفُوا رَجُلًا أَثْقَلَ  
نَوْمًا مِنْهُ .

«أَنْذَهُبُ الْآنَ؟»

«إِذْهَبُوا . رِحْلَةٌ مُوَفَّقَةٌ !»

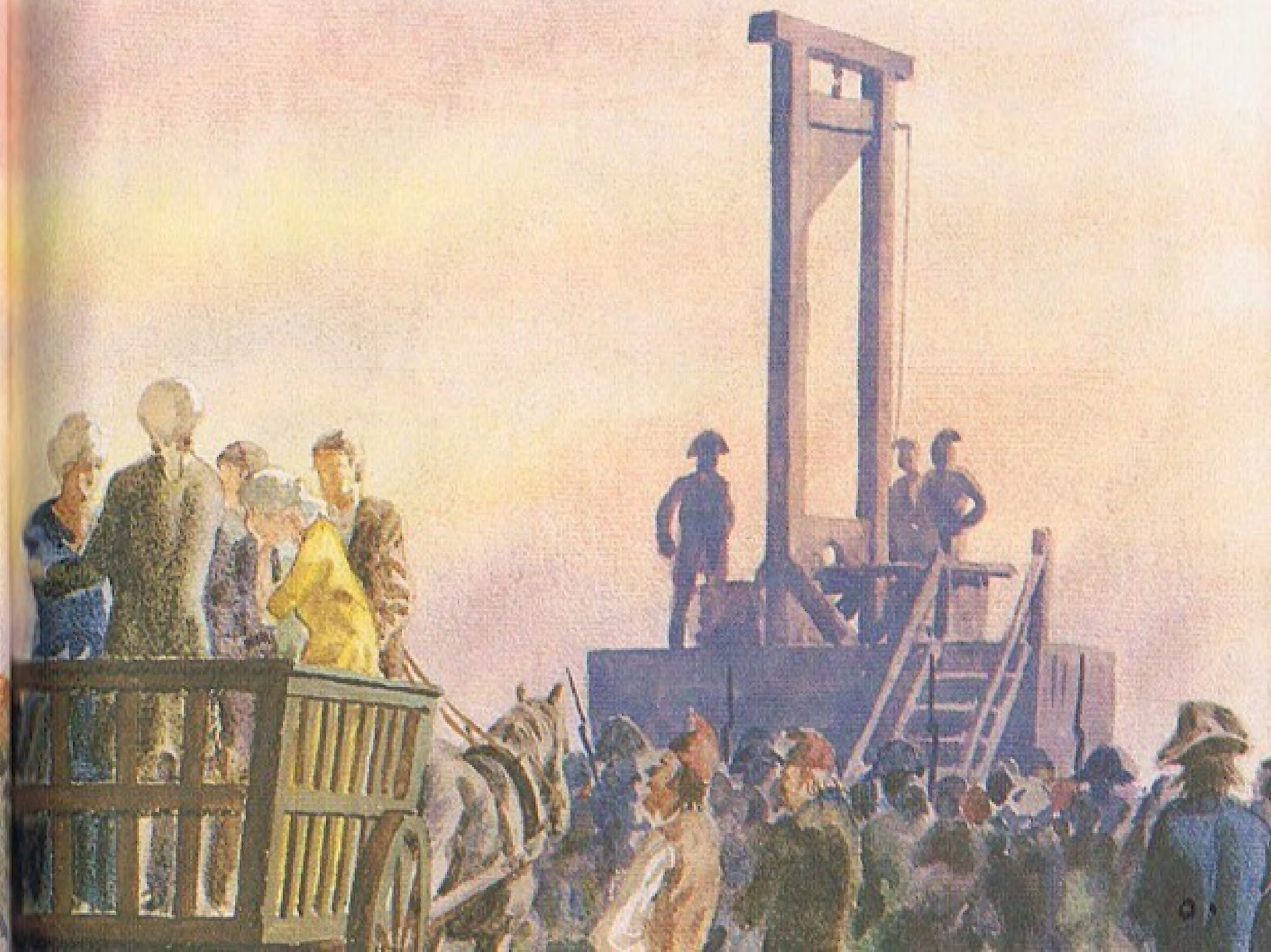
وَفِي السَّجْنِ اقْتَرَبَتْ صَبِيَّةٌ مَحْكُومٌ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ مِنْ شَارْلُ ،  
كَمَا كَانَتْ تَظُنُّهُ ، وَرَجَّتُهُ أَنْ يُمْسِكَ بِيَدِهَا حِينَ يَذْهَبَانِ إِلَى  
الْمِقْصَلَةِ . فَمَدَّ سِدْنِي يَدَهُ وَأَمْسَكَ يَدَهَا .



دَقَّتِ السَّاعَةُ ثَلَاثًا. تِلْكَ هِيَ الْمِقْصَلَةُ. تَجَمَّعَ أَمَامَهَا صُفُوفٌ  
مِنَ النِّسْوَةِ يَحْكُنُ الصُّوفَ. أَفْرِغَتِ الْعَرَبَةُ الْأُولَى. وَبَدَأَ تَسَاقُطُ  
الرُّؤُوسِ، وَشَرَعَتِ النِّسْوَةُ يَعْدُدُّنَهَا دُونَ أَنْ يَوْقِفْنَ حَبْكَ الصُّوفِ.  
قَالَ سِدْنِي: «أُنْظِرِي إِلَى وَجْهِ يَا صَغِيرَتِي. لَا تَنْظُرِي إِلَى  
شَيْءٍ آخَرَ.»

«لَنْ أَخَافَ إِذَا كَانَتْ يَدُكَ فِي يَدِي. لَكِنْ هَلْ سَيَعَجِّلُونَ؟»  
«سَيَعَجِّلُونَ. لَا تَخَافِي.»

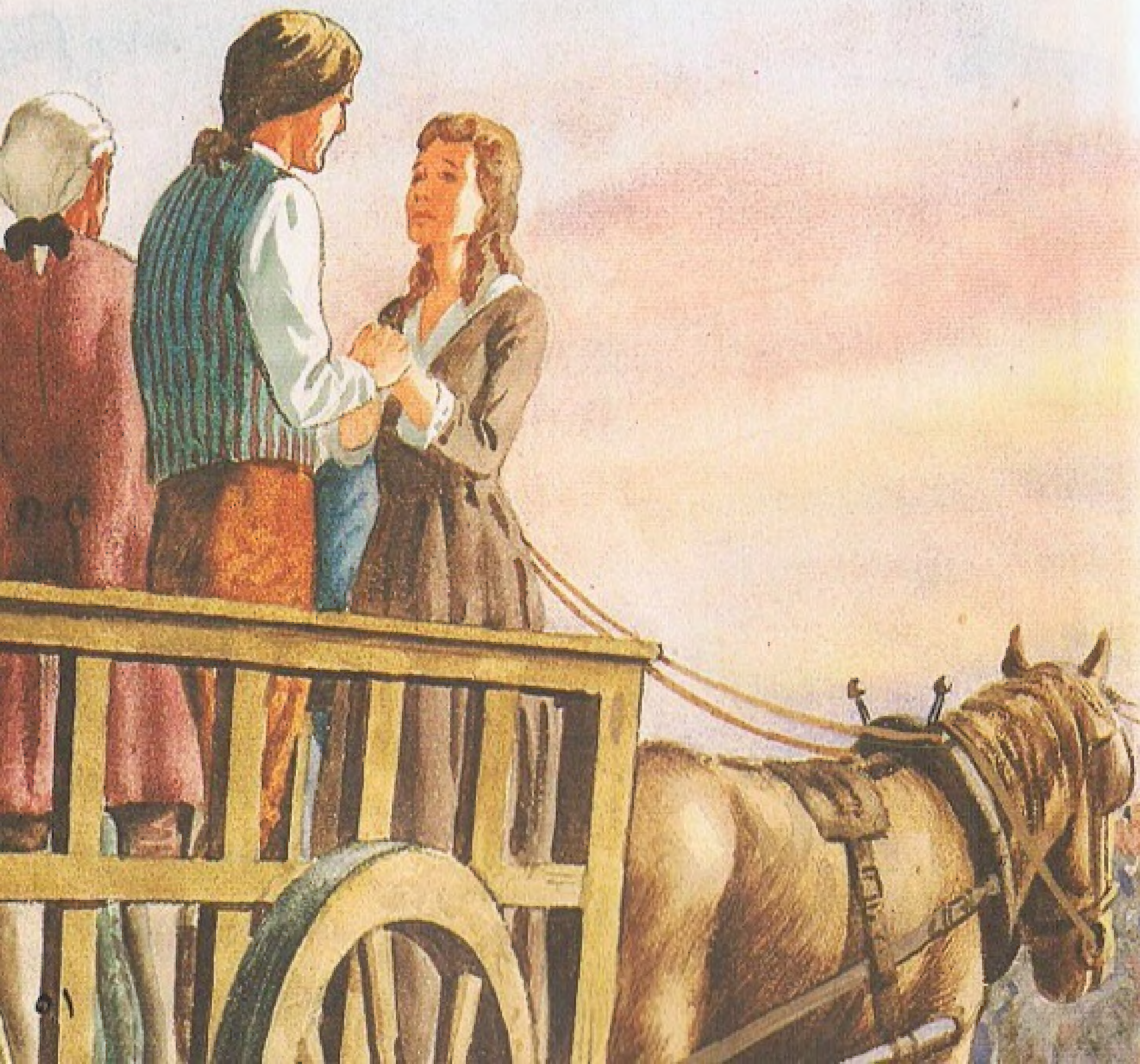
سَبَقَتْهُ إِلَى الْمِقْصَلَةِ.. ثُمَّ لَمَعَ النَّضْلُ. وَهَتَفَتِ النِّسْوَةُ  
الْحَابِكَاتُ: «إِثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ.»



مَلَأَتْ عَيْنِي سِدْنِي، وَهُوَ يَتَقَدَّمُ إِلَى الْمِقْصَلَةِ، خَيَالَاتٌ،  
فَرَأَى لُوسِي وَأَفْرَادَ أُسْرَتِهَا يَنْطَلِقُونَ إِلَى إِنْكِلَتَرَةِ آمِنِينَ. فَرَدَّدَ فِي  
أَعْمَاقِهِ: «مَا أَفْعَلُهُ الْآنَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلْتُ فِي حَيَاتِي وَمَا  
أَشْعُرُ بِهِ مِنْ رَاحَةٍ وَسَلَامٍ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَا شَعَرْتُ بِهِ فِي حَيَاتِي.»

كَانَتْ هُنَاكَ هَمَّهَمَاتٌ تَبْدُو بَعِيدَةً، وَوُجُوهٌ تَبْدُو كَأَنَّهَا فِي  
الْحُلُمِ.. ثُمَّ انْطَفَأَ بَرِيقُ كُلِّ شَيْءٍ. ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ!

قِيلَ، فِيمَا بَعْدُ، إِنَّ أَحَدًا لَمْ يَرَ عَلَى الْمِقْصَلَةِ وَجْهًا  
كَوَجْهِهِ سَلَامًا وَرِضًى.





تَسْعَى مَكْتَبَةُ لُبْنَانٍ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ السَّلْسِلَةِ إِلَى تَعْرِيفِ الْفَتَى  
الْعَرَبِيِّ بِرَوَائِعِ الْأَدَبِ الْعَالَمِيِّ ، وإِعْدَادِهِ لِلدُّخُولِ ، فيما بَعْدُ ،  
فِي عَالَمِ الْقِصَصِ الْخَالِدَةِ مِنْ بَابِهِ الْوَاسِعِ . إِنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ مِنْ حَقِّ  
أَبْنَائِنَا أَنْ يُكُونُوا فِكْرَةً صَحِيحَةً شَامِلَةً عَنْ إِنْتَاجِ الْقِصَصِ الذَّائِعَةِ  
الصَّبِيَةِ فِي مُخْتَلَفِ أَصْقَاعِ الْأَرْضِ .

عَلَى أَنَّنَا نَتَّقُ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ تَصْلُحُ ، بِالشَّكْلِ الَّذِي نُقَدِّمُهَا  
فِيهِ ، لِلِكِبَارِ أَيْضًا . لِأَنَّنَا حَرَصْنَا عَلَى أَلَّا نَنْتَقِصَ مِنْ جَوْهَرِ الْفِكْرَةِ  
الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الْعَمَلُ وَمِنْ بِنَاءِ الشَّخْصِيَّاتِ كَمَا أَرَادَهَا  
الْمُؤَلِّفُونَ .

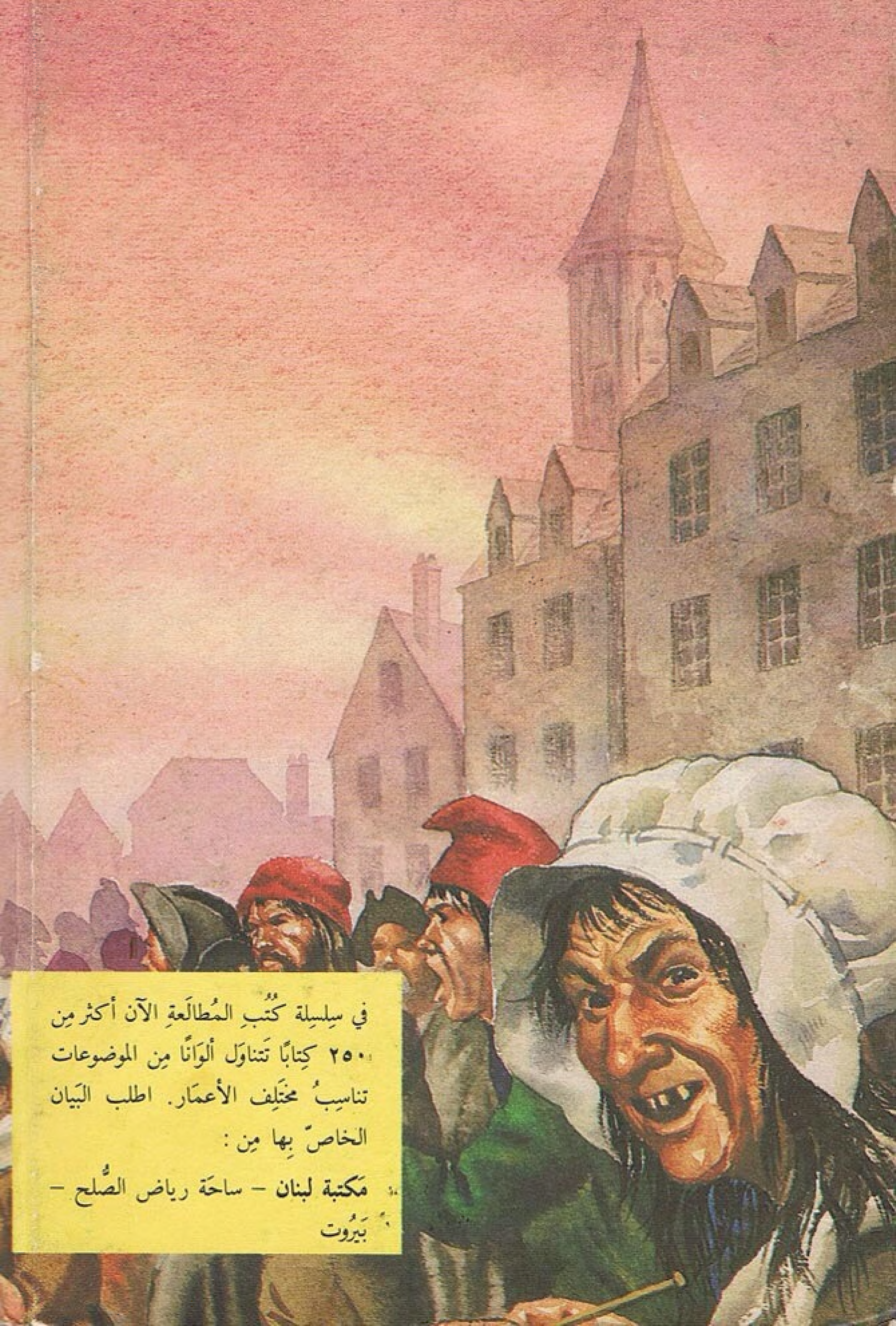
وَحَرَصْنَا عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى عَنَاوِينِ الْكُتُبِ الْأَصْلِيَّةِ وَكَذَلِكَ  
عَلَى أَسْمَاءِ الْعِلْمِ وَالْأَمَاكِينِ ، كَمَا وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ ، رَغْبَةً فِي  
إِعْطَاءِ صُورَةٍ حَقِيقِيَّةٍ عَنِ الْجَوِّ الْعَامِّ لِلْقِصَصِ ، مِنْ حَيْثُ الْمَكَانُ  
وَالْأَوْضَاعُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ وَالْأَحْدَاثُ التَّارِيخِيَّةُ ، وَخِدْمَةٌ لِلْهَدَفِ الَّذِي  
نَسْعَى إِلَيْهِ وَهُوَ تَمْهِيدُ الطَّرِيقِ لِلتَّعَرُّفِ إِلَى الْأَدَبِ الْعَالَمِيِّ . عَلَى

أَنَّنَا تَجَنَّبْنَا الْخَوْضَ فِي تَفَاصِيلِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَا تَتَعَلَّقُ مُبَاشَرَةً بِصُلْبِ  
الْمَوْضُوعِ وَلَا تُؤَثِّرُ عَلَى سَيْرِ الْأَحْدَاثِ . وَذَلِكَ لِئَكِّي لَا تُرْبِكَ  
الْقَارِئُ الْعَرَبِيُّ بِأَسْمَاءِ ثَانَوِيَّةِ الْأَهَمِّيَّةِ ، غَرِيبَةِ اللَّفْظِ قَلِيلَةِ التَّوَاتُرِ .  
وَتَمَنَّا أَنْ هَذِهِ الْقِصَصُ كُلُّهَا بِأَنَّهَا شَدِيدَةُ التَّشْوِيقِ ، وَتَقُومُ فِي  
غَالِبِهَا عَلَى الْمُغَامَرَاتِ الْمُثِيرَةِ . وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْقِصَصِ الْمُخْتَارَةِ  
كُتِبَتْ أَصْلًا لِتُرْضِيَ جُمْهُورَ الشَّبَابِ ، وَهِيَ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ تُرْضِي  
مَشَاعِرَهُمْ وَمَبَادِيئَهُمْ وَحُبَّهُمْ لِلْإِنْطِلَاقِ وَاتِّكَافِ الْمَجْهُولِ .

إِنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ جَمِيعُهَا ، وَإِنْ تَكُنْ فِي غَالِبِهَا تَقُومُ عَلَى  
حُبِّ الْمُغَامَرَةِ ، تَتَنَاوَلُ أَصْدَقَ الْمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَتُصَوِّرُ كِفَاحَ  
الْإِنْسَانِ لِتَحْقِيقِ مَثَلِهِ الْعُلْيَا دُونَ أَنْ يَعْجَأَ بِالتَّضْخِيَّاتِ .

وَزُوِّدَتْ كُتُبُ السَّلْسِلَةِ جَمِيعُهَا بِمُقَدِّمَاتٍ تُعَرِّفُ بِالْمُؤَلِّفِ كَمَا  
زُوِّدَتْ بِرُسُومٍ مُلَوَّنةٍ رَائِعَةٍ تُضْفِي جَوْاً مِنَ السَّحْرِ عَلَى أَحْدَاثِ  
الْقِصَصِ ، وَتُصَوِّرُ الْخَلْفِيَّاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ أَصْدَقَ  
تَصْوِيرٍ .





في سلسلة كُتِبِ المُطالعةِ الآن أكثر من  
٢٥٠ كتاباً تتناول ألواناً من الموضوعات  
تناسبُ مختلف الأعمار. اطلب البيان  
الخاص بها من :

مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح -  
بيروت